

(6)

ندوة

طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ



ندوة

عقدتها الاتحاد بمقره في القاهرة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

حصاد

(٨)

ملاح النشاط التجارى لبلاد تهامة والسراة فى العصور الإسلامية الوسيطة

١- تمهيد :

أحيطت بلاد تهامة والسراة من جهاتها الأربع بحدود جغرافية متنوعة ، فالبحر الأحمر يحدها من الغرب ، وصحارى وسط الجزيرة العربية من الشرق ، والبلاد السعيدة ، أرض اليمن ، من الجنوب ، ومكة المكرمة والطائف من الشمال . يعنى ذلك أنها ترتبط بعدة مناطق لها أهميتها التاريخية والحضارية ، علاوة على ثرواتها البشرية والطبيعية . وعلى الرغم من هذا نجد ذكرها فى المصادر القديمة قليلاً وأحياناً يكاد يكون نادراً ؛ لأن بدايات التدوين كانت منصبة على كبريات الحواضر الإسلامية فى العالم الإسلامى ، فكان حديثهم عن شبه الجزيرة العربية منصباً على مدن الحجاز واليمن والبحرين واليمامة وغيرها من المدن الكبرى . وهكذا بقيت بلاد تهامة والسراة وغيرها من مثيلاتها فى طى النسيان . ولهذا فان البحث التاريخى الحضارى فى جانب من جوانب هذه الأجزاء المنسية يكاد يكون صعباً ، إن لم يكن شائعاً ، وذلك لقلة المعلومات عنها .

واختيارنا لهذا الموضوع «ملاح النشاط التجارى لبلاد تهامة والسراة فى العصور الإسلامية الوسيطة» ، يعود إلى أهميته وجدته فى الوقت نفسه ، ثم إلى أهمية هذه البلاد

* أستاذ ورئيس قسم التاريخ- كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية - جامعة الملك خالد.

اقتصادياً وتجاريًا. وسوف نركز على العديد من العناصر لاستجلاء الحقيقة التاريخية التي توضح أهمية هذه المنطقة ، فنبداً بأهمية الموقع الجغرافى، ثم اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجارى فى هذه البلاد مع الإشارة إلى بعض المقومات الأساسية لنجاح التجارة بها، وبعد ذلك نتجه إلى الحديث عن الحياة التجارية وما يتعلق بها، فنوضح الطرق التجارية الهامة، والأسواق التى كانت منتشرة بهذه البلاد، مع الإشارة إلى أهم صادراتها ووارداتها ، وما يمكن ذكره من سير التعامل التجارى فى هذه المنطقة، والمشاكل التى كانت تعترض هذا النشاط.

٢- الموقع الجغرافى لبلاد تهامة والسراة:

بلاد تهامة والسراة، التى نقصدها فى هذه الدراسة، هى المنطقة الواقعة بين اليمن جنوباً، والحجاز شمالاً. وهذه المنطقة لاتشمل كل أرض تهامة والسراة المشار إليها فى بعض كتب التراث، والتى تجعلها تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة ، أو بلاد الشام، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى. أما هذه الدراسة فسوف تركز على واسطة العقد، أى قلب ذلك الإقليم ووسطه .

أما بلاد تهامة، فهى تلك الأراضى المنخفضة بين ساحل البحر الأحمر وبين جبال السروات ، وهناك العديد من المصادر اللغوية، والجغرافية والتاريخية المبكرة أشارت إلى أن العرب أطلقوا على جبال السراة حجازاً ، لأنها حجزت بين الأغوار التهامية، وهى هابطة، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف تلك الجبال فى غريبه إلى أسياف البحر، الغور ، أو أغوار تهامة^(١).

وتشكل هذه البلاد أرضاً واسعة طولها أكبر من عرضها، حيث تأتى فى الوسط بين ساحل البحر الأحمر من الغرب، وسفوح جبال السروات من الشرق. أما فى الطول فقد تمتد من مكة المكرمة شمالاً إلى بلاد عدن جنوباً، ولكن ينبغى الإشارة إلى أننا لن نتعمق فى الدراسة عن تهامة اليمن، وإنما سوف نقصر حديثنا جنوباً إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان الحالية)، وشمالاً إلى الأطراف الجنوبية لمنطقة مكة المكرمة . وهى منطقة سادها بعض الغموض والنسيان خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة، رغم أنه كان يقطنها العديد من العشائر والقبائل المتعددة، التى كان لها دور فى تاريخ المنطقة. وقد أشار ابن حبيب، والهمداني ، وناصر خسرو، وابن المجاور وغيرهم إلى بعض تلك العشائر والقبائل، مع ذكر بعض من مواطنهم ومراكزهم الحضارية^(٢). ومن تلك المراكز الكبرى فى العصور الوسطى، بلدان المخلاف السليماني ، وهى: من الشرجة (الموسم حالياً) جنوباً إلى حلى بن يعقوب شمالاً ، ثم يأتى

بعدها فى الشمال بلاد السرين، وعشم ، والليث، والقنفذة، ويلملم ، وهذه المواطن تشمل قرى وأحوازاً ومخاليف عديدة (٣). ويأتى إلى الداخل من أرض تهامة، وعلى مقربة من سفوح جبال السروات ، من الجنوب إلى الشمال ، صبيا وبيش، ودرب بنى شعبة، ورجال ألمع ، وبارق ، وخاط ، والمجاردة، وتهامة غامد وزهران وغيرها مراكز حضارية عديدة(٤).

وعن بلاد السراة، فسراة الشىء فى اللغة أعلاه، وظهره، ووسطه ، ويذكر عن أرض السراة، أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة، والتي تمتد جنوباً إلى حواضر اليمن(٥). ويشير بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات، وربما أطلق عليها الحجاز(٦). ويبدو أن حدود جبال السروات، أو الحجاز، صارت مشار جدل واختلاف عند الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل، والذي يهمنى فى هذه الدراسة، أن بلاد السراة المعنية هنا، والمتقابلة مع الأجزاء التهامية الأنفة الذكر، عرفت باسم أرض السروات، ومفردها سراة، لأن هذه المنطقة يوجد بها سروات كثيرة، ومن أشهرها: - سراة الطائف ، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان، ثم سراة بنى سعد وبلحارث ، ثم سراة بنى مالك بجيلة، فسراة غامد وزهران، ثم سراة خشعم وشرمان وبلقرن، فسراة الحجر (قبائل بنى عمرو، وبنى شهر ، وبللسمر، وبللحمر) ، يليها سراة عسير، التى كان يطلق عليها قديماً (سراة عنز) ، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديماً بسراة (جنب) ، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران(٧)، وهذه السروات يسكنها العديد من القبائل والعشائر والأفخاذ ، ولا زالت تنسب كل سراة إلى العشيرة التى تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون فى المرتفعات أو السروات التى تفصل بين الجزء التهامية والنجدية، غير أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن موطنها فى السروات ، وتنزل الأغوار التهامية فى الغرب، أو الأجزاء النجدية فى الشرق(٨).

وقد ضمت بلاد تهامة والسراة العديد من الظواهر التضاريسية ، والأقاليم المناخية، فالأغوار التهامية يغلب على أرضها الاستواء، لكنها لا تخلو من الجبال والهضاب والأودية الصغيرة والكبيرة. أما بلاد السراة فيظهر بها الجبال الشاهقة والمتوسطة الارتفاع ، إلى جانب الهضاب والوهاد متفاوتة الارتفاع ، ويظهر على قمم جبال السراة أنها تنحدر بشكل كبير تجاه الغرب، وعند سفوحها الغربية يقل الانحدار تدريجياً حتى تتصل بالسهول التهامية، أما انحدارها نحو الشرق فيظهر عليه التدرج نحو الهضاب الشرقية. ومن جبال السروات يظهر

العديد من الأودية المتحدر بعضها نحو الشرق، وبعضها الآخر نحو الغرب. ومن أهم الأودية المنحدرة نحو الشرق، أودية الطائف مثل: - وادى وج، وادى ليه، وادى السر، يليها إلى الجنوب وادى تربة، ثم وادى رنية، فوادى بيشة، ثم وادى تثليث، وغيرها أودية عديدة فى بلاد قحطان ونجران^(٩).

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب: وادى نعمان حول مكة المكرمة ، ثم وادى ملكان ، وواديا أدام ويلملم ، ثم وادى الليث، ثم أودية أخرى تأخذ مياهها من سراة غامد وزهران وخثعم مثل :- وادى الشواق، ثم أودية دوقه ، وقرماء ، والأحسبة ، ثم وادى حلى، وبعض روافد هذا الوادى تأتى من سراة الحجر، ثم وادى عتود الذى يسيل من بلاد قحطان (سراة جنب) ، ثم وادى بيض، فوادى بيش، وأخيراً واديا صبيا وجازان^(١٠).

ويبدو على مناخ تهامة والسراة، أنه ممطر فى أغلب فترات العام، وتكون الحرارة شديدة صيفاً معتدلة شتاء، وخاصة فى الأجزاء التهامية. أما فى الجبال السروية، فالحرارة معتدلة نسبياً فى الصيف، شديدة البرودة فى الشتاء. وهذا التنوع فى المناخ والتضاريس أثر على حياة السكان، فكثير منهم كانوا يشتغلون بالرعى، والصيد ، والجمع والالتقاط ، وخاصة أهل البوادرى، وبعض من كان يعمل بالرعى كان أيضاً يعمل بالزراعة. ومن يدقق النظر فى بلاد تهامة والسراة يجد أن الأراضى الزراعية كثيرة بها، مع توفر المقومات الأساسية للحياة الزراعية أيضاً^(١١). أما الصناعات والحرف التقليدية والتجارية فكانت توجد بكثرة فى المراكز والتجمعات السكانية الكبيرة ، كما أن أهل البوادرى والأرياف كانوا لا يخلون من ممارسة هذه المهن من أجل سد حاجاتهم الذاتية^(١٢).

ومعظم سكان تهامة والسراة من القبائل العربية القحطانية، إلا أنهم أيضاً يختلطون بعشائر وقبائل عربية عدنانية. وإلى جانب العرب كان يعيش فى هذه البلاد العديد من العناصر الأخرى مثل:- العبيد وجلهم من قارة أفريقية، وكذلك الموالى الفرس، والأتراك، ومعظم أعمالهم كانت فى المراكز الحضرية الكبرى مثل :- نجران، وجرش ، وبيشة، والطائف، والمخلاف السليمانى (جازان) وحلى وغيرها، وغالباً ما كان يعملون فى الزراعة، والحرف الصناعية التقليدية ، والتجارة^(١٣).

٣- اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري:

تأثر تاريخ وأحوال شبه الجزيرة العربية بتاريخ الدولة الإسلامية منذ بعث الرسول (ﷺ) وحتى ظهور الدولة العثمانية في بداية العصر الحديث، وكان هذا التأثير يتفاوت من المدن الكبرى إلى المراكز والقرى والمواطن الصغرى، وبلاد تهامة والسراة تعد من المواقع الصغيرة إذا ما قارناها بحواضر الحجاز أو اليمن أو البحرين. ومعظم حكام العالم الإسلامي، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيط، كانوا يولون الحواضر الكبرى أهمية كبيرة من الناحية السياسية والحضارية، وتأتي الحجاز، وخاصة المدن المقدسة في مقدمة تلك الحواضر التي كانت محل اهتمامات الخلفاء والأمراء آنذاك. وبعد النبي محمد (ﷺ) ثم الخلفاء الراشدون من بعده (رضى الله عنهم)، من أوائل من اهتم بالحجاز ثم باليمن، فلو تابعنا سير أحداث التاريخ، وانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية لوجدنا أن سكان اليمن، وسكان تهامة والسراة كانوا في مقدمة من اعتنق الإسلام، وقبائل الأوس والخزرج الأزدية، ثم من جاء بعدهم من قبائل تهامة والسراة في عصر الرسول (ﷺ) لأكبر دليل على ذلك (١٤).

وفي عهد الخلفاء الراشدين نجد الكثير من أهل تهامة والسراة. يتركون بلادهم، ويشاركون في حركة الفتوحات الإسلامية (١٥). ولم يحدث هذا إلا بالعبادة التي أولاها الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده لأهل تهامة والسراة. وكثير من الرسائل التي كان يبعثها الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون إلى بعض الصحابة في أرض تهامة والسراة، أو إلى بعض شيوخ القبائل والعشائر هناك، ويوضح لهم فيها ما يجب عليهم تجاه أنفسهم وأهليهم والناس (١٦).

واستمرت أرض الحجاز موضع اهتمام خلفاء الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية. وبحكم قرب مكة المكرمة والطائف لبلاد تهامة والسراة، وكذلك موقع هذه البلاد بين الحجاز واليمن، فقد حظيت ببعض الاهتمام السياسي والحضاري من خلفاء بني أمية، والخلفاء الأول من بني العباس، حيث كانوا يرسلون من قبلهم إلى بلاد تهامة والسراة - وكذلك إلى اليمن والحجاز - من يتولى الإمارة ويرسى قواعد الأمن بها، وغالبًا ما كان والى مكة المكرمة يتولى الإمارة على أرض تهامة والسراة فيرسل من قبله العمال على مناطق عديدة بها مثل: نجران، وجرش، وتبالة، وبيشية، وتربة، وحلى، وعشم، والسرين، وضنكان، والمخلاف السليماني وغيرها (١٧)، وكان أولئك العمال يتعاونون مع أعيان وشيوخ القبائل من أجل استقرار الأمن، وحماية الطرق والأسواق وأعراض وممتلكات المواطنين (١٨).

وتشير المصادر إلى مظاهر اهتمام الخلفاء والحكام عبر حقب التاريخ الإسلامى بالطرق التجارية المارة بأنحاء شبه الجزيرة العربية، لاسيما جنوبيها الغربى، لكونها تخدم أغراضاً مختلفة ومتعددة يأتى على رأسها تسهيل وصول قافلة الحج اليمانى عبر أرض تهامة والسراة، وسير الجيوش من موقع إلى آخر للدفاع عن المدن والحصون، وتيسير وصول البريد من العاصمة إلى الولاة والنواب والعمال فى المدن المختلفة بهذه الأرجاء، وأيضاً حرصاً على خدمة التجارة سواء الداخلية منها أو الخارجية^(١٩). ومن بين هذه الاهتمامات، عناية الخليفة الأموى هشام ابن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م) ببلاد السراة، فكان يرسل بعض ولاته ومعهم العديد من الموالى والعبيد لحراسة وحفظ مواطن المعادن فى ببشة وما حولها^(٢٠)، كما كان يرسل رجال الحسبة للحفاظ على حركة التجارة بالأسواق المنتشرة فى أرض السراة^(٢١)، إلى جانب جمعهم زكاة المال التى ترسل لبيت مال المسلمين^(٢٢). كذلك تشير مصادر أخرى إلى اهتمام الخليفة المهدي العباسى (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٤-٧٨٥م) بالأراضى التهامية والسروية، وخاصة الطرق التجارية المارة بها إلى اليمن، فيذكر عنه أنه أمر بحماية وإصلاح الطريق الشرقى الذى يخرج من الطائف إلى صعدة عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة، كما أمر بوضع محطات للبريد وعماله على تلك الطريق، وسعى إلى بناء وإصلاح المحطات التجارية الواقعة على الطريق الواصل من صنعاء عبر الطائف إلى مكة المكرمة ومنها إلى بغداد حاضرة بنى العباس^(٢٣).

وتورد العديد من المصادر أن الاهتمام ببلاد تهامة والسراة لم يقتصر على خلفاء بنى أمية وبنى العباس وإنما امتد هذا الاهتمام أيضاً إلى صفار الأمراء وعبيد وموالى الخلفاء، حيث نجد ذكراً لخالصة مولاة الخليفة المهدي التى كانت تقتنى دوراً وعيوناً ومزارع فى الطائف، وتربة، وببشة بأرض السراة^(٢٤). ولعل الخليفة المهدي قد اهتم بأرض السراة لأن زوجته الخيزران قدمت فى الأساس من تلك البلاد، فتذكر بعض الروايات أنها بيعت فى أسواق جرش (عسير حالياً)، ثم أخذت إلى مكة المكرمة، وأخيراً استقر بها المقام فى بغداد لتصبح زوجة للمهدي، وينجب منها الخليفتين الهادى (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م)، والرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م)^(٢٥). كما نلاحظ أيضاً اهتمامات كل من الخليفة الرشيد، وولده الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م) ببلاد تهامة والسراة، حيث حرصا على بعث ولاتهما إليها وإلى بلاد اليمن كى يجبوا زكواتها، ويحافظوا على أسواقها، وعلى ضبط الأمن

بها^(٢٦). واستمر أمراء البرامكة على منهج خلفاء وأمراء بنى العباس ، من حيث الاهتمام بتلك المناطق ، فكانوا يرتادونها ويقتنون ببعض مراكزها الحضارية الدرر والبساتين ، حتى إننا وجدنا بعض كتب التراث أطلقت أسماء بعض رجالات البرامكة على بعض المواقع فى مكة، والطائف ، وبيشة، ونجران، وصعدة، وصنعاء^(٢٧)، وهذا مما يدل على أن أرض السراة كانت موضع اهتمام عند خلفاء وأمراء بنى العباس الأول^(٢٨).

وقد ترتب على ضعف الخلافة العباسية فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أن ضعفت سيطرتها على الحجاز ، وعلى بقية شبه الجزيرة العربية، وأصبح أمراء الأشراف يتولون مقاليد الأمور فى الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف) ، وأحياناً يمدون نفوذهم على أرض تهامة والسراة. وفى غالب الأحيان كان حكم هذه البلاد بيد شيوخ القبائل الذين كان الواحد منهم يمثل دولة مستقلة .

وقد ذكر ذلك كل من الرحالين ناصر خسرو وابن المجاور ، فعند حديث ناصر خسرو عن بعض المراكز الحضارية الواقعة بتهامة والسراة مثل : - نجران ، وبيشة وغيرها، أشار إلى أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادي شاسعة ثم قال : «... وفى كل بادية حاكم مستبد لا يخضع لأية سلطة مركزية»^(٢٩)، أما ابن المجاور فيذكر تعدد القرى فى أرض تهامة والسراة، ثم يقول : «... ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها ، كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم»^(٣٠)، ويتضح لنا من هذه الأقوال أن البنية الاجتماعية فى بلاد تهامة والسراة، خلال العصور الإسلامية الوسيطة، كانت تعتمد على القبيلة التى تعد الوحدة الرئيسة فى المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم الذى لا ينازعه أحد فى سلطانه، وهو الذى يعلن الحرب، وهو الذى يطفئها مع المشايخ الآخرين^(٣١). ولهذا فشيوخ القبائل فى بلاد تهامة والسراة، وفى غيرها من شبه الجزيرة العربية كانوا حتى بداية القرن العشرين يمثلون قوة عظمى على أفراد قبائلهم، فهم أصحاب الحل والعقد فيهم، ولهذا فمسؤولية هؤلاء الشيوخ تمتد إلى كل مجالات الحياة فى القبيلة، فهم يسعون للحفاظ على أمن قبائلهم، وعلى سير الحياة الاجتماعية والاقتصادية لديهم. وهذا النفوذ الذى كانت تتمتع به القبائل ومشايخها ، خلال العهود الإسلامية الوسيطة، يؤكد على ضعف نفوذ الخلافة المركزية وتدهور اهتماماتها ببلاد تهامة والسراة. أما طبقات الأشراف بمكة المكرمة فكانوا على صلة بأهل تهامة والسراة، حتى إن بعضهم كانوا يمتلكون الدور والعقار

والمزارع فى مواطن مختلفة هناك، بل كانوا أيضاً على علاقة مصاهرة مع بعض مشايخ القبائل التهامية والسروية، ومثل هذه الصلات كانت ذات فائدة عظيمة لهؤلاء الأشراف، لاسيما عند اندلاع الحرب بينهم على منصب الإمارة فى مكة المكرمة والطائف، فلا يتورع بعضهم من الاستجارة بأهل تهامة أو السراة، أو طلب النجدة العسكرية من أصهارهم هناك (٣٢).

٤- التجارة ومقوماتها فى أرض تهامة والسراة:

لاشك فى أن بلاد تهامة والسراة قد حباها الله بمقومات طبيعية وبشرية ساعدت على قيام نشاط تجارى متنام ومزدهر بها خلال الحقبة الوسيطة من عصر الإسلام. ومن أبرز المقومات الطبيعية ما يلى:-

أ- موقع بلاد تهامة والسراة الذى يربط بين منطقتى اليمن والحجاز، وهاتان المنطقتان، كما أشارت بعض كتب التراث الإسلامى، من أفضل مناطق شبه الجزيرة العربية، لتمييز موقعها، وكثرة خيراتها وسلعها، وتجارب سكانها التجارية (٣٣)، ويكفى أن الله سبحانه وتعالى ذكر رحلات أهل مكة فى الشتاء والصيف، وأن بلاد اليمن كانت إحدى الجهات الرئيسية التى كان القرشيون يذهبون إليها لممارسة تجارتهم منذ عهد ما قبل الإسلام (٣٤). ومن المؤكد أن أرض تهامة والسراة كانت حلقة الوصل التى يسلكها القرشيون فى ذهابهم وإيابهم إلى اليمن (٣٥).

ب- اتساع بلاد تهامة والسراة فى الجهات الأربع، وإطلالها من الغرب على البحر الأحمر، ومن الشرق على صحارى نجد، ثم تنوع تضاريسها، والظروف المناخية بها، جعلها تنوع فى نشاطاتها البشرية، وفى مواردها وخيراتها الطبيعية والاقتصادية، وهذا مما أدى إلى ازدهار الحياة التجارية بها (٣٦).

ج- توفر وسائل النقل لدى سكان هذه البلاد، حيث كانت الجمال وسيلة النقل الرئيسية لديهم، كما كان الحال فى بلاد العرب، ومن ثم ازدهرت أهمية الجمال كأحدى وسائل النقل عند سكان السراة، والسهول التهامية القريبة من شاطئ البحر الأحمر، فكانوا يحرسون على اقتناء الجمل كى يستخدموه فى نقل بضائعهم، ومحاصيلهم الزراعية، وأمتعتهم الأخرى. ولوحظ أن البوادي عند سفوح جبال السراة من الشرق كانوا أكثر من يمتلك الجمال، فرمى اقتنى الرجل الواحد منهم المائة والمائتين والخمسمائة والألف من الإبل، وإلى جانب الجمال وجدت الحمير والبغال التى تستخدم لنقل البضائع والأغراض الخفيفة، بالإضافة إلى ركوبها فى التنقل من مكان لآخر (٣٧).

أما المقومات البشرية فتتركز في قوة ، وعزم الرجال ، وهما صفتان مميزتان لرجال تهامة والسرارة ، علاوة على قوة صبرهم وتحملهم وقناعتهم ، مما جعلهم يحرصون على كسب أرزاقهم من كدّهم ، وما أنعم الله عليهم من خيرات شتى علاوة على مهارتهم الفائقة في التجارة ، وما يتصل بها من نشاطات سواء على مستوى المواطن التي عاشوا فيها ، أو على مستوى المدن ، فازدهرت تجارتهم الداخلية منها والخارجية (٣٨).

٥- الطرق التجارية :

توافر لبلاد تهامة والسرارة العديد من طرق التجارة البرية والبحرية ، ومن دراستنا لهذه الطرق ، يمكن القول بأن الطرق البرية لبلاد تهامة والسرارة بعضها كان داخليا والبعض الآخر كان خارجيا .

فالطرق الداخلية هي التي تربط أجزاء البلاد الداخلية بعضها ببعض ، وهي كثيرة جداً ، فلا تخلو مدينة أو قرية من طرق تربط بعضها ببعض ، كما لا توجد قبيلة أو عشيرة أو حتى منزل إلا ويربطه طريق ، وأحياناً طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى . ومن يتجول في بلاد تهامة والسرارة ، ويلاحظ القرى القديمة ، وموارد المياه ، ومواطن الرعى ، أو الأراضي الزراعية ، يجد آثار العديد من الطرق القديمة التي كانت تستخدم سواء لمرور الناس ، أو لمرور المواشى والحيوانات عليها . كما سيشاهد طرقاً أخرى تربط أماكن التجمعات السكانية بالأسواق الأسبوعية ، وتربط أيضاً الأجزاء السروية بالأراضي التهامية الغربية ، أو البوادي الشرقية . ويظهر على تلك الطرق صعوبة المسالك ، وذلك لصعوبة التضاريس ، وخاصة في المنحدرات الغربية لجبال السروات ، حيث يوجد هناك العديد من العقاب التي يسلكها أهل البلاد في ذهابهم وإيابهم بين تهامة والسرارة (٣٩).

أما الطرق الخارجية ، فهي تلك الطرق التي تربط أجزاء تهامة والسرارة بغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية . ومن أهم تلك الطرق : الطريق الوصال بين الحجاز واليمن عبر أرض تهامة والسرارة ، وأهمها :

١- الطريق الذي يربط صنعاء وصعدة ونجران وجرش وبيشة بالطائف ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات ، وهذا الطريق كان مستخدماً قبل الإسلام ، فيذكر أن أبرهة الحبشى الذي خرج من اليمن إلى الحجاز عام (٥٧١م) ، بهدف هدم الكعبة ، اتخذ طريقاً له (٤٠) ، كما سلكه من قبله تiban أسعد أبى كرب الملك الحميرى الذي تروى كتب التاريخ القديمة

خبر وصوله إلى المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)^(٤١)، والسالك لهذا الطريق لازال يلاحظ آثار الإصلاحات القديمة بادية عليه كتذليل عقباته، وتبليط الخشن من أرضه، ورصف بعض مجارى الأودية التى تعترضه. حيث جرت عادة الحكام منذ القدم، وطوال العصور الإسلامية الوسيطة، على تعمير الطرق وتعبيدها، وإرساء بعض مظاهر العمران بين كل محطة أخرى، تتمثل فى إقامة الاستراحات والمساجد للمصلين، وآبار لمياه الشرب، وذلك ضماناً لأمن وراحة المسافرين عبرها، وتوفير للأغراض التى قد يحتاجها المسافر أثناء سفره عبر تلك الطرق والدروب^(٤٢).

كما يلاحظ أيضاً وجود قبور بعض الذين سلكوا هذا الطريق وتوفوا ودفنوا عليه، ويستدل من النقوش الموجودة على هذه القبور أن هؤلاء المتوفين كانوا ينتمون إلى عصور مختلفة، فبعضهم توفوا فى الجاهلية، وبعضهم فى العصر الإسلامى. كما لازلنا نسمع السكان المقيمين حول تلك الطريق ينعتونها بـ (درب الفيل)، وأحياناً بـ (درب أسعد الكامل)^(٤٣).

ومنذ ظهور الإسلام، أصبح هذا الطريق من الطرق الرئيسة، حيث نشطت الرحلة عبره فى العصور الإسلامية الأولى، فكان يسلكه الصحابة (رضوان الله عليهم) وهم ذاهبون آيبون من الحجاز إلى اليمن^(٤٤)، كما كان يسلكه الحجاج والتجار وطلبة العلم، وبخاصة إبان فترتى الحكم الأموى والعباسى، بدليل ورود ذكره كثيراً فى كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل، من أمثال: ابن خرداذبة^(٤٥)، وقدامة^(٤٦)، والحربى^(٤٧)، واليعقوبى^(٤٨)، والهمدانى^(٤٩)، والمقدسى^(٥٠)، والإدريسى^(٥١)، وجميع كتبهم أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية الهامة الواقعة بين صعدة والطائف فى الأجزاء السروية، التى تمر بها قوافل الحج والتجارة، مما يشير إلى كثرة استخدامها، ولعل ذلك كان بحكم الصلة الوثيقة التى ربطت بين ولاة اليمن والخلافة العباسية ببغداد، ولاسيما فى عصر القوة، ونعنى به العصر العباسى الأول^(٥٢). وقد أثرنا الاعتماد على كتاب الهمدانى (صفة جزيرة العرب)، لنذكر المحطات الواقعة على هذا الطريق، والسبب الذى جعلنا نعتمد على الهمدانى دون غيره من المصادر السابق ذكرها، والتى أشارت إلى هذا الطريق، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية، فلقد ولد وعاش أغلب حياته فى بلاد اليمن، ثم إنه سافر عدة مرات من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز، بل كانت مهنته فى شبابه جمالاً يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز واليمن، فمن ثم كانت له معرفة جيدة بأحوال ومحطات وأطوال

الطريق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن، والمارة ببلاد السراة، إلى جانب أنه الجغرافى الوحيد الذى رسم لنا طول الطريق الجبلى الذى يأتى من صنعاء إلى الطائف ثم مكة المكرمة، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال، ومثل هذه الأسباب تجعلنا فى عداد المنصفين إذا اعتمدنا على كتابه : صفة جزيرة العرب، فى ذكر محطات هذا الطريق^(٥٣)، مع العلم أننا لن ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التى كانت على هذه الطريق .

ويشير الهمدانى إلى خروج الطريق الجبلى من صنعاء إلى صعدة مع ذكر الأطوال بين هاتين المدينتين، ثم يورد قوله : « من صعدة إلى العرقة اثنان وعشرون ميلاً، ومن العرقة إلى المهجرة اثنا عشر ميلاً، ومن المهجرة إلى أرينب ثلاثة عشر ميلاً، ومن أرينب إلى سروم الفيض أربعة عشر ميلاً، ومن سروم الفيض إلى الشجة ستة ستة عشر ميلاً، ومن الشجة إلى كتنة عشرون ميلاً، ومن كتنة إلى يميم عشرون ميلاً، ومن يميم إلى بنات حرب عشرون ميلاً، ومن بنات حرب إلى الجسداء اثنان وعشرون ميلاً، ومن الجسداء إلى بيشة أحد وعشرون، ومن بيشة إلى تبالة أحد عشر ميلاً، ومن تبالة إلى القريحاء اثنان وعشرون ميلاً، ومن القريحاء إلى كرى ستة عشر ميلاً، ومن كرى إلى تربة خمسة عشر ميلاً، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلاً، ومن الصفن إلى الفتق ثلاثة وعشرون ميلاً»^(٥٤).

أما طريق الساحل فلم يشر الهمدانى فيه إلى المسافات بين المحطات، وإنما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد حكم فى جازان، ثم إلى الهجر، فعثر، فبيض، فزنيف، فضنكان، فالمعقد، فحلى؛ فالجو، فالجونية، فقنونا، ثم دوقه، فالسرين، فالمعجر، فالخيال، فيلملم، فملكان، فمكة المكرمة^(٥٥).

ويتحدث ابن خرداذبة، وقدامة، والإدرسى، عن الطريق السروية التى تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوباً، والتى كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن، فكانت تستخدمها الجيوش فى أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية، بل كان يستخدمها التجار وموظفو الدولة، كالأمراء والقضاة، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم، ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التى كانت على طول الطريق، فابن خرداذبة أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشىء الكثير، وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن قور الهلالى حيث يقول:

إذا شئت غننتى بأجزاء بيشة إلى النخل من تثليث أو من يميم

وواصل حديثه عن الجسداء وذات حرب، وسروم راح التي أطلق عليها الهمداني سروم الفيض ، والتي تقع إلى الشرق بثمانية أميال من جرش، فذكر تعدد الآبار بها، وأشار إلى أنها محطات تحتوى على قرى وسكان من عشائر مختلفة^(٥٦).

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التي ذكرها الهمداني ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقال: «... ومن الفتق إلى تربة، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي، ومن تربة إلى صفر ، وهي منزل فيه داران لصاحب البريد فى الصحراء ، وفيه ماء عذب من بثرين، ومن صفر إلى كرى، منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلا منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل، وهي فى بطن واد كثير النخل، ومن كرى إلى رنية، منزل فى صحراء ، ونخل وعين عظيمة عذبة، والعمران حولها ، ومن رنية إلى تباله قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تباله إلى بيشة، قرية عظيمة كثيرة الأهل فى بطن الوادى، ظاهرة الماء من عيون وآبار، مضرية قيسية ، ومن بيشة إلى الجسداء ، قرية عظيمة ، منزل أعراب من قيس، ومن جسداء إلى بنات حرب قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع، ومن بنات حرب إلى يميم جرش نحو أربعة عشر ميلاً، ومنه على كشبة «قرية عظيمة، ومنازل وقصور وآبار فى صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كشبة إلى الشجة موضع البريد ، وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو فى بلاد زبيد، وحوله أعرابهم، ومن الشجة إلى سروم راح، وهي قرية عظيمة فى صحراء فيها عيون كثيرة الكروم، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب، ومن سروم راح إلى المهجرة ، وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل ، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك^(٥٧) وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز، وهي شجرة تشبه الغرب... ومن المهجرة إلى العرقة وهي أول عمل اليمن ، وهي إلى عمل صعدة^(٥٨). ويتعرض الإدريسي للطريق والمحطات التي ذكرها الهمداني ، وابن خرداذبة ، وقدامة، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التي قيل كانت الحد بين الحجاز واليمن، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتى تباله وبيشة ، فيذكر تباله وما بها من عيون كثيرة ومزارع ، ثم يقول: «وهي صغيرة فى منخفض أكمة»، أما بيشة فهي أيضاً مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن حسنة البقعة، وبها ماء ونخل كثير^(٥٩).

وقد أطلق على هذا الطريق الواصل بين اليمن والحجاز عدة أسماء منها: الطريق الجبلى بحكم أنه يصعد إلى الجبال مخترباً السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولاً، ويسير من عدن إلى ذمار، وصنعاء، وصعدة، وبيشة، ومنها إلى الطائف... إلخ^(٦٠). كذلك أطلق عليها طريق السلطان، أو الجادة السلطانية، لكونها الطريق الرئيس الذى كان محل اهتمامات خلفاء المسلمين الأول، وبخاصة فى العصر العباسى الأول، حيث دأبت الجيوش ورجالات الدولة، وكذلك طلاب العلم، وقوافل التجارة على عبوره فى أسفارهم إلى الحجاز وغيرها^(٦١).

٢- وإلى الغرب من الطريق السابقة، وعبر بلاد السراة، يأتى طريق آخر، وتخرج من بلاد قحطان (سراة جنب)، ثم أجزاء من شهران وعسير شمالاً (مخلاف جرش قديماً)^(٦٢)، ثم سراة الحجر، فسراة غامد وزهران حتى تصل الطائف ومكة المكرمة فى الحجاز^(٦٣). وهذه الطريق تأتى عبر قمم جبال السروات، ويطلق عليها سكان السروات «طريق الحجاج» أو «محمل الجبال»، ويشير إليها أحد الدارسين المعاصرين فيذكر أن هذه الطريق تعد من حلقات الاتصال بين اليمن والسراة ثم الحجاز فى قديم الزمان وحديثه، ثم يقول: «... وأنا أذكر جحافل هذا الطريق مسلكا، وأعرف أن بعضه كان لا يزال مرصوفا بالحجارة ليسهل السير فيه...»^(٦٤). وهذه الطريق لازالت آثارها ماثلة للعيان، بل لازال كبار السن فى هذه البلاد يذكرون حزنونها ومسالكتها، بل يتذكرون بعض الجيوش العثمانية التى كانت تسلكها فى الذهاب والإياب ما بين اليمن والحجاز خلال القرون الماضية المتأخرة^(٦٥). ونجد «جادة السلطان»، وكيفية خروجها من بلاد اليمن عبر جبال السروات، ولكن فى بلاد قحطان (سراة جنب)، وبلاد عسير (سراة عنز) يتم تفرعها إلى ثلاث طرق هى: طريق السلطان الذى فصلنا الحديث عنه، ويأتى عبر بيشة وتبالة، وتربة، حتى الطائف ومكة المكرمة. وطريق آخر من شمال أبها، حاضرة عسير، عبر عقبة تيه الساحل. والطريق الثالث، هى طريق الحجاج عبر جبال السروات^(٦٦). ويقول الحجرى فى هذا الطريق «... ومن جبال عسير طريق حاج اليمن من جهة صعدة، يخرجون بلاد الحرجة من سنعان، ثم الوقشة من بلاد عبيدة، ثم درب سلمان بعبيدة، ثم درب العقدة لرفيدة، ثم ذهبان بلاد ابن مشيط، ثم شهران شرقى أبها على نحو ثلاث ساعات، ثم المجزعة من شهران... ومن يريد طريق ساحل تهامة، فمن رأس عقبة تيه، ثم وادى يعرور، وهو واد ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب، ومنه يخرجون إلى سبت محائل. وأما محمل الجبال فيمرون من المجزعة إلى الحمراء ما بين بللسمر وبللحمر، ثم المضاف، ثم ساق الغراب، ثم تنومة، ثم النماص من بلاد بنى شهر، ثم غامد إلى رعدان»^(٦٧).

وحلقة الوصل بين مرتفعات بلاد السراة، والأغوار التهامية، العديد من المنافذ التي تخترق السروات عبر المنحدرات الغربية حتى تصل سهول تهامة. وهذه المعابر الطبيعية يطلق عليها عقاب، ومفردها عقبة، وهي كثيرة جداً، فيوجد لكل عشيرة أو قبيلة في الجبال السروات من اليمن إلى الحجاز عقبة تصل بين الأجزاء السروية والتهامية، ومن يدقق النظر في كتب التراث المبكرة، فإنه لا يجد أحداً دون شيئاً عن هذه العقاب، وليس لأنها غير موجودة، لكن أصحاب المدونات المبكرة لم يتوغلوا في أعماق جبال السروات، وفي معرفة أحوال منحدراتها الغربية، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة تضاريسها، وربما إلى فقدان الأمن بها في العصور الإسلامية الوسيطة، وخاصة أن سكانها يتميزون بالقوة، وصعوبة المراس، وعدم قبول أى غريب يدخل بلادهم. وقد وجدنا كلاً من المقدسى، وناصر خسرو، وابن الجاور يتفقون على صعوبة تضاريس بلاد السراة، وانغلاق أهلها على أنفسهم، وخصوصاً من يعيش منهم في قمم السروات، أو في منحدراتها الغربية (٦٨)، ولكن تلك المنافذ كانت متواجدة بكثرة عبر جبال السروات، وجزمنا بهذا القول يعود إلى عدة أسباب منها:

أ- أن من يدرس التقسيمات البشرية لسكان تهامة والسراة يجد العديد من العشائر والأفخاذ في جبال السروات لها فروع، وفخوذ في الأغوار التهامية، بل يجد بينها العديد من الأحلاف والصلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والوطيدة. وهذا مما يؤكد على حركة تنقلات وهجرات ما بين السراة وتهامة، ولا يتم ذلك إلا من خلال تلك المنافذ الضيقة بين السروات والأغوار التهامية (٦٩).

ب- إنني في جولتي وتنقلاتي في بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية، وعبوري بعضاً من تلك العقاب التي تربط هذه الأجزاء، وجدت عدداً من النقوش، والآثار الواضحة للعيان تؤكد على أنها كانت، بل ومازال بعضها مستخدماً حتى اليوم. وقد وجدت هذه النقوش على قبور أشخاص سلكوا هذا الطريق، وربما الجوع، أو المرض، أو الوحوش المفترسة كانت سبب موت أولئك الأفراد (٧٠).

ج- أثبتت الوثائق والدراسات الخاصة بالتاريخ الحديث أن كثيراً من الجيوش وقوات الأشراف في مكة المكرمة، أو الجيوش العثمانية في اليمن، أو الحجاز، أو السروات كانت تسلك بعض العقاب التي تصل ما بين السراة وتهامة، وذلك بهدف عبورها لمحاربة بعض القبائل في هذه البلاد، وأحياناً لسرعة الوصول ما بين الحجاز واليمن في حالة طلب الإمدادات من طرف لآخر (٧١).

ومن أهم تلك العقاب ، وخاصة التى وردت فى بعض المصادر والمراجع المتأخرة ، عقاب :-
ضلع ، ورجم ، وتيه فى سراة عسير ، وحظوة ، وساقين ، وسانان ، وتلاع فى سروات الحجر ،
والأبناء ، والمخوة ، وبنى سعد فى سروات غامد وزهران وما يليها شمالاً من سروات
أخرى (٧٢).

والشابت أن هذه العقاب مثلها مثل الطرق الداخلية أو الخارجية التى تربط بين اليمن
والحجاز ، عبر بلاد السراة ، حيث كانت تستخدم فى تيسير مرور حركة الجيوش ، والحجاج
والتجار وغيرها من المنافع الأخرى.

٣- الطريق البرية عبر تهامة ، فقد أشار الهمدانى إلى طريق الساحل ، أو طريق تهامة ،
والذى يبدأ مساره من عدن باليمن إلى مكة المكرمة ، ويصل حتى جدة ، ونلاحظ أن الهمدانى
لم يفصل لنا مسافات هذا الطريق وطوله بالأميال ، كما فعل فى حديثه السابق عن طريق
السلطان فى بلاد السراة ، وإنما اكتفى بأن ذكر امتداد هذا الطريق بمحاذاة الساحل مباشرة
ابتداءً من عدن إلى باب المندب ، ثم أشار إلى أغلب المحطات التى تقع بين مدن اليمن
الكبرى ، وبلد حكم فى جازان ، ثم استمر يذكر تلك المحطات حتى مكة المكرمة ، فذكر بعد
جازان : المهجر ، فعثر ، فبيض ، فزنيف ، فضنكان ، فالمعقد ، فحلى ، فالجو ، فالجوبية ،
فقنونا ، ثم دوقة ، فالسرین ، حيث يلتقى عندها الطريق الساحلية ، موضوع الحديث ، بالطريق
الأوسط أو السلطانية ، ومن عندها يعودان للافتراق ، فيتجه طريق الجادة إلى مكة عبر
المعجر ، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة . بينما يتجه الطريق الساحلى إلى جدة ،
وكانت رحلة القوافل على هذه الطرق من عدن إلى مكة تستغرق فى هذه الفترة نحو
الشهر (٧٣).

وقد نوه العديد من الرحالة والجغرافيين الأوائل بالإضافة إلى الهمدانى إلى أهمية طرق
تهامة التى تربط بين اليمن والحجاز ، كما أوضحنا ، فبينوا لنا اعتماد سكان تلك المناطق
والحجاج والتجار الوافدين من اليمن إلى الحجاز عبر بلاد تهامة والسراة على هذه الطرق
التهامية ، ومن أولئك الرحالة عمارة اليمنى الذى فصل الحديث عن هذا الطريق فقال : « أما
طريق تهامة فهى تفترق إلى طريقين - فواحدة ساحلية على البحر ، وواحدة هى الجادة
السلطانية ، متوسطة منها إلى البحر يوم أودونه ، وفيها إلى الجبال يوم أودونه بحسب انضمام
البحر والجبل وافتراقهما عند تهامة ، وفى كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع

عظيم، فمن الساحلية :- الشرجة، ثم المعجر فالقنديرة، ثم عشر ، وهى مقر ملك قديم ، ثم بيض ، ثم الدوغة، ثم حمضة، ثم ذهبان ، ثم حلى، فالسرين»^(٧٤) إلى أن يصل الطريق إلى جدة^(٧٥).

ثم يأتى على ذكر محطات الطريق الوسطى، أو الجادة السلطانية ، فيذكر جيزان، والساعد وتعشر، والمبنى، ورياح، والهجر، ثم تلتقى طريق الجادة بالساحلية، ويفترقان من السرين، وبينهما وبين مكة خمسة أيام، فأول ما يلقى الحاج من عمارته بئر الرياضة ، ثم سبخة الغراب، ثم الخبت ، ثم يرد الناس وادى يللم ، وهو ميقات أهل اليمن... ثم يردون بئراً من عمارته يقالها لها أدام، ثم يفترق الناس فمن أراد مكة ورد من عمارته ببئر البيضاء ، ثم القرين ، ثم مكة، ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئر بوادى الرحم، ثم نعمان ، ثم عرفات^(٧٦).

ويذكر أبو إسحاق الحربى فى كتب المناسك تلك الطريق التهامية بين اليمن والحجاز ، فيقول : « ... من الخصوف إلى جازان، ومن جازان إلى بيش ، ومن بيش إلى عشر ومن عشر إلى ضنكان ، ومن ضنكان إلى حلى، ومن حلى إلى بيض، ومن بيض إلى وادى المقل، ومن وادى المقل إلى وادى دوقة، ومن وادى دوقة إلى السرين، ومن السرين إلى وادى السباع إلى الليث، ومن الليث إلى مركوب ومن مركوب إلى يللم ثم إلى ملكان ومنها إلى مكة»^(٧٧). وقد أشار أحمد الزيلعى فى دراسة له عن وادى حلى فذكر وقوع خطأ فى هذه الرواية التى أوردها الحربى حيث ذكر واديا بيض والمقل يقعان بعد وادى حلى، مع أن هذين الوادين يقعان إلى الجنوب من حلى بمسافة كبيرة، ثم يواصل الزيلعى حديثه فيذكر أن أحد نساخ كتاب الحربى عمل على تصحيح هذا الخطأ، وكان تصحيحه من كتاب السلوك للجندى، وذكره محقق كتاب الحربى حمد الجاسر بعنوان : «ومن طريق تهامة خبر فى الحاشية » وهو حديث أبى سعيد الجندى، وفيه يقول: « إن من أراد طريق زبيد أخذ من مكة إلى ادام ، ومن ادام إلى مركوب، ومن مركوب إلى الليث، ومن الليث إلى عليب ، ثم القرما ، ثم قنونا ، ثم إلى حلى، ثم إلى المعقد، ثم إلى ضنكان ، ثم إلى زنيف ، ثم إلى بيض ، ثم إلى حاوى، ثم إلى العرش، ثم إلى جازان»^(٧٨).

٤- ويضاف إلى الطريقين اللتين سبق ذكرهما فى تهامة، طريق ثالثة، سبق الإشارة إليها عند حديثنا عن طريق أهل السراة، وهذه الطريق تأتى عن طريق جبال السراة حتى تصبح شمال

أبها ، ثم تنحدر من عقبة تيه إلى تهامة ، ويقول الحجرى عن هذه الطريق : «ومن يريد طريق ساحل تهامة، فمن رأس عقبة تيه، ثم وادى بعور، وهو وادٍ ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب، ومنه يخرجون إلى سبت محائل...» (٧٩).

ومما يؤكد أيضاً أهمية هذه الطرق البرية، ولاسيما فى رحلة الحج، تناولها من قبل عدد من الأدباء فى أراجيز نظميه معروفة تلقى بدورها الضوء على محطات هذه الطرق وتتابعها ، ومن أشهر هؤلاء الأدباء: أحمد بن موسى الرادعى (... - ٢٨٠هـ) ، ومحمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩-١١٨٢هـ) ، وابن إسحاق الصنعانى (١١٩١-١٢٦٦هـ) ، وعلى بن الحسن العجيلى التهامى (١٢١٧-١٢٧٥هـ) وغيرهم ، ومما قاله ابن اسحاق:

كان خروجنا من الأوطان لقصد بيت الواحد المنان
يوم الخميس وهو من شوال إحدى وعشرين بلا مقال

* * *

وبعد سرننا إلى يلملم ميقاتنا فى قصدنا للحرم
وهو يسمى الآن بالسعدية باسم بئر عذبة هنية (٨٠)

وقال العجيلى:

صحبت المدجلين بخبث سعيًا وفى وادى يلملم إذا أهلوا (٨١)

ولم تكن أحاسيس الأدباء التهاميين هينة تجاه الحج، وطرقه ، ولا مكة المكرمة ومشاعرها ، بل تزداد هذه العواطف كلما أهل الموسم، وهم الأهلون بالرحلة إلى بيت الله، هناك تفيض المشاعر، وتهيج الأشواق، يقول عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البرعى (... - ٨٠٣هـ) فى هذا الشأن :

أمن نيايتى برع تقسيم وقد رحل الأحبة يانديم
ومالك والتخلف عن فريق متى رحلوا حللن بك الهموم
طوت بهم المراحل فى الفيافى قلاتص تذرع القلوات كوم
فلعسان فسررد ثم مور فحيران لهن به رسيم
إلى حرض إلى خلب تراءت إلى جازان جازت وهى هيم

ومرت فى ربا ضمد وصبيا ولؤلؤة^(٨٢) وغوان تهيم
 وذهبان وفى عمق وحلى تساورها المفاوز والرسوم
 وفى يبه وفى كنفى قنونا سرت والليل معتكر بهيم
 فدوقة فالرياضة ما استمرت بجانب الحفر بطريها النسيم
 إلى المقيات ظلت خائضات غمار الآل يلحقها السموم
 وياتت عندما وردت إذا ما تحن فلاتنسام ولاتنيم
 وفى أم القرى قرت عيون عشية لاح زمزم والحطيم^(٨٤)

وهذه الطرق التى ذكرت عند المتقدمين لازالت آثارها باقية فى كثير من المواطن ماثلة للعيان حتى اليوم، بل لازال هناك كثير من النقوش والكتابات والرسوم التى تثبت مرور العديد من التجار والحجاج وغيرهم عبر تلك الطرق. وقد رجعنا إلى بعض الدراسات الحديثة المهتمة بالآثار والنقوش على محطات الطرق الساحلية، والتى تذكر أسماء العديد من الأشخاص الذين وافتهم المنية على تلك الطرق، وهم فى ذهابهم وإيابهم إلى اليمن أو الحجاز ، ووجدنا بعض النقوش توضح بما لا يدع مجالاً للشك السبب والزمن الذى كتبت فيه تلك النقوش، أو الكتابات وكثير منها كان فى العهود الإسلامية المبكرة والوسيطه^(٨٤). كما لوحظ أن هذه الطرق قد استخدمت أيضاً أثناء التاريخ الحديث والمعاصر من قبل الجيوش العثمانية التى كانت تذهب من الحجاز إلى اليمن، أو العكس فبعض رحالة العصر الحديث يذكرون مشاهداتهم على الطريق الواصل من مكة إلى منطقة عسير (سراة عنز قديماً)^(٨٥)، وهذا هو شرف بن عبد المحسن البركاتى صاحب كتاب : «الرحلة اليمنية»، الذى قدم مع حملة الشريف حسين بن على من مكة إلى منطقة عسير عام (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ، وقد رصد أثناء الرحلة أهم المواطن التى على طول الطريق من مكة المكرمة حتى تهامة سراة الحجر، ثم صعد مع عقبة ساقين التى تطل على تنومة فى السراة، ومن هناك واصل طريقه عبر قمم جبال السروات حتى تطل على تنومة فى السراة، ومن هناك واصل طريقه عبر قمم جبال السروات حتى دخل مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية) ، واستقر فى حاضرتها مدينة أبها^(٨٦). ويلاحظ على رحلة البركاتى أنه كرر ذكر أغلب المواطن التى ذكرها كل من الهمدانى، والحربى، وعمارة اليمنى، والحجرى ، ومن أهم تلك المواطن : الليث ، ودوقة ، وقنونا ، وبارق ، ومحائل،

وجميع هذه الأماكن تقع فى تهامة. أما فى السراة فذكر أجزاء من سروات الحجر فى بلاد بنى شهر ، وبللسمر، وبللحمر حتى بلغ أبها (٨٧).

كذلك يعد الطريق البحرى أحد أهم وسائل الاتصال بين بلاد تهامة والسراة، وبين العالم الخارجى، فوجود الأجزاء التهامية على ساحل البحر الأحمر، وفر لها منافذ عدة ربطتها بقارات العالم القديمة (أفريقيا ، وأوربا، وآسيا) ، ويعد البحر الأحمر أحد الشرايين المائية الهامة التى كانت تصل بلاد أوربا بأقصى الشرق، على مدار العصور التاريخية، حتى إن مختلف المصادر أجمعت على هذه الأهمية، وبصفة خاصة فى فترة صدر الإسلام وعصر بنى أمية. وتعد هذه الطريق من أهم الطرق البحرية التجارية، فحكام بنى أمية قد أولوه كثيراً من الاهتمام فشجعوا سير التجارة فيه، وسعوا إلى حمايته من كل ما يهدد أمنه (٨٨). وفى عصر بنى العباس تراجع نشاط هذا الطريق البحرى بسبب تحول اهتمام خلفاء بنى العباس إلى الخليج العربى، والسعى إلى محاربة قبائل الجزيرة العربية اقتصادياً عندما كانوا يسعون إلى الوقوف فى وجه الخلافة العباسية، والانضمام إلى بعض أعدائهم مثلما حدث مع العلويين فى عصر الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٣-٧٧٤م) (٨٩).

ولكن عاد طريق البحر الأحمر إلى مكانته السابقة، وحاز ذات الاهتمام السابق وذلك بعد ضعف الخلافة العباسية، وظهور العديد من الدويلات فى العالم الإسلامى، واستقلال الأشراف بالحجاز، بل تصاعدت أهمية هذا الطريق ، حتى أصبح طريقاً عالمياً لفت نظر القوى الأجنبية كالبرتغاليين، والأسبان ، والهولنديين ، ثم الإنجليز، وصار طريقاً حيوياً لهم يمكن استخدامه للوصول إلى الشرق، ويساعدهم أيضاً على الاستفادة من ثروات البلاد الواقعة على هذا البحر (٩٠). ومن خلال تفنيد هذه الحقائق التاريخية يمكن القول بأن بلاد تهامة والسراة قد تأثرت كثيراً بهذا الشريان البحرى، كطريق تجارى مثلما تأثرت بحركات المرور، والتنقل التى قامت بها شعوب كثيرة على مر العصور، وهذا التأثير ربما كان سلباً أو إيجاباً لأن الأجزاء التهامية لها العديد من الموانئ المظلة على البحر، ومن تلك الموانئ: ميناء الشعبية ، الذى ذاع صيته منذ العصر الجاهلى ، ولكن قلت أهمية هذا الميناء فى عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) بعد تشييد ميناء جدة فى عام ٢٦هـ / ٦٤٦م، الذى أصبح بعد ذلك واحداً من أهم المراسى العالمية فى أواخر العصور الإسلامية الوسيطة (٩١). يليه إلى الجنوب ميناء القنفذة، وكان من الموانئ القديمة، لكن لم يظهر ميناء هاماً إلا فى أواخر العصر

الإسلامى الوسيط^(٩٢). ويأتى إلى الجنوب موانئ أخرى مثل : السرين، والبرك، وحلى والقحمة، وجازان ، والموسم. وكل هذه الموانئ كانت معروفة منذ صدر الإسلام، وبعضها من العهد الجاهلى. وكثير من كتب التراث أشارت إلى أهمية هذه الموانئ ونشاطها التجارى خلال العهود الإسلامية الوسيطة، وأكدت أن أهل تهامة والسراة قد استخدموها لتصدير منتجاتهم التى كانت تصدر لهم من الهند والصين وعدن وبعض بلدان أفريقيا وأوروبا^(٩٣). ومما ساعد على تزايد حركة التجارة أيضاً من خلال هذه الموانئ أنها كانت تتصل بالموانئ التى على الطرف الآخر من البحر الأحمر من جهة القارة الأفريقية^(٩٤)، وكذلك بالطريق التى تصل مصر بالبحر المتوسط حتى تصل إلى أوروبا، وكذلك بالطريق التى تصل الهند والصين فى أقصى الشرق^(٩٥).

٦- أهم المراكز التجارية فى تهامة والسراة:

اشتهرت عدة مراكز ومدن فى تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطه بالنشاط التجارى، الأمر الذى ساعد على توثيق العلاقات بينها وبين عدد من المناطق المحيطة بها كاليمن والحجاز ومدنها المتعددة ، فارتبطت معها بوشائج تجارية مما ساعد على زيادة مكانة التجار فى مجتمع بلاد تهامة والسراة من جهة ، ومن جهة أخرى ساعد على إغناء الموارد المالية لهذه الجهات ، وتنوع النشاطات البشرية، علاوة على زيادة الكثافة السكانية بتلك الجهات، ومن ثم إلى ازدهارها الحضارى^(٩٦).

وقد ورد ذكر هذه الأجزاء التهامية فى العديد من المدونات وكتب التراث، فنجد عاكشاً الضمدي يتحدث عن سكان المخلاف السليمانى فيذكر أنهم قبائل كثيرون، وأنسابهم صحيحة ما بين عدنانية وقحطانية ، وأغلبهم من قحطان ، وفيهم من المروعة ، والنجدة ، والشجاعة، والكرم ما ليس فى غيرهم^(٩٧). وفى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يذكر الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه : «صفة جزيرة العرب» العديد من المواطن والمراكز الهامة فى بلاد تهامة فيقول : وببلد حكم قرى كثيرة مثل : العداية والركوبة ، والمخارف ، والقلليق . وبها :- وادى حرص ، وحيران ، وجدلان، ووادي بنى عيس، ووادي الحيد، ووادي تعشر، ووادي جحقان، ووادي لية ، ووادي خلب .. وضمد، وجازان ، وصيبا^(٩٨)، ويواصل الهمدانى حديثه قائلاً : «ثم مخلاف عثر، وعثر ساحل جليل، ومدينة بيش، وحصبة أبراق، وفيه من الأودية:- الأمان، ووادي بيش، ووادي عتود، ووادي بيض ، ووادي ريم، ووادي عرمرم...»^(٩٩) ، ثم

يتجه نحو الشمال معدداً بعض المواطنين فيقول : « ... ثم بلد حرام من كنانة ، وهو وادى أقمه وضنكان ، وهو معدن غزير .. والحرة حرة كنانة ، والمعقد ، وحلى ، وهو خلاف ، وقصبتهما الصحارى موضع رؤساء بنى حرام ، والجو ، ووادى تلومة ، ووادى الفراسة ، والجونية ، ووادى المحرم ، ودعنج ، وعشم معدن ، وحلى العليا والسرین ساحل كنانة هو وحمضة ، والليث ، ومركوب وادبان فيهما عيون... » (١٠٠).

وعلى هذا النحو عدد لنا « لسان اليمن » الكثير من المواطنين التجارية والمراكز الحضارية التى تكتنف منطقة تهامة فى عصره ، ويلاحظ أنه رغم ذكره للعديد من هذه المواطن ، فإنه لم يأت على كل المراكز الكبرى فى تهامة ، علاوة على عدم إمدادنا ، وهو الذى تجول وعاش بين بوادى وحواضر هذه المنطقة ، بتفصيلات دقيقة عن بعض الجوانب الحضارية التى اشتهرت بها تلك النواحي ، وفى هذه الدراسة لانستطيع أن نورد كل التفصيلات عن كل بلدة ، أو مدينة ، أو قرية فى تلك الأجزاء ، وإنما سنحاول ذكر أكبر المراكز الحضارية التجارية التى وردت الإشارة إليها فى كتب التراث الإسلامى خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة . ومن تلك المواطن : مدينة أبوعريش ، وبلدة بيش ، ومدينة عثر ، والبرك ، وقنونا ، والسرین ، وعشم ، وحلى .

فمدينة أبوعريش تأتى إلى الشرق من مدينة جازان فى يومنا الحالى ، وقد ذكرها كل من اليعقوبى والهمدانى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) فعدد اليعقوبى مراحل الطريق بين مكة المكرمة وصنعاء فقال : « وبه المعقر ، وضنكان ، وزنيف ، وريم ، وبيش ، والعرش من جازان » (١٠١) وقال الهمدانى فى ذكر مراحل تلك الطريق « ... ثم الشرجة ، ثم العرش ، ثم عثر » (١٠٢) وبأتى ذكرها أيضاً عند يحيى بن الحسن فى كتابه « غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمنى » عندما تحدث عن أحداث عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م (١٠٣) .

وبعد الحسن بن أحمد عاكش أفضل المؤرخين فى ذكر مدينة أبى عريش فيقول « وأبو عريش هذا أول من اختط ببقعته مسكناً جد بنى الحكمى ، وكان جدهم رجلاً صالحاً له يد فى الطريقة فبنى عريشاً هناك ، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو عليه من الفضل ، فلذا يسمى أبو عريش ، وزمن اختطاطه قديم أظنه فى القرن السابع » (١٠٤) .

وهناك بعض شعراء القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) الذين ذكروا « أبوعريش » فى شعر ، فهذا هو عبد الرزاق اليمنى يقول :

عج بواى الهضاب فى الأسحار وترنم هنناك بالأوتار
 برى أبى عريش حيث (الغوانى) مايسات الحبول والأسوار
 الصبّا والصبّا بها يا معنى وطلّسوع البدور والأقمار
 ليت شعرى أكون فيها دوماً أتمشى فى حلة الجلنار^(١٠٥)

وبلدة بيش وردت فى كتابى اليعقوبى والهمدانى، فذكرها الأول على الطريق بين مكة واليمن، ثم أشار إلى أن أهلها الأزدي^(١٠٦)، أما الهمدانى فذكر أن بها موالى قریش وساحلها مدينة عشر، وذكر فى مكان آخر من كتابه قول الشاعر أبى الحياش الحجرى:

فقرى بيش فالدويمات فالبر ك فحلى ممطورة غيناء^(١٠٧).

أما مدينة عشر، فكانت إحدى المدن الهامة فى بلاد تهامة خلال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، وأن مالکها آنذاك هو سليمان بن طرف الحكى الذى ضرب العملة باسمه ووحد بينها وبين مخلاف حكم تحت مسمى «المخلاف السليمانى»، وأن حجم إمارته التى كانت عشر عاصمة لها آنذاك تقدر بمسيرة سبعة أيام فى الطول، ويومين فى العرض، فكانت من بلدة الشرجة جنوباً إلى مدينة حلى شمالاً، ويصل خراجها فى السنة خمسمائة ألف دينار عشرية^(١٠٨).

وبلدة البرك كانت من المواطن المشهورة فى تهامة، وذلك لمكانتها السياسية والاقتصادية، فلقد عمرها بعض الولاة فى العصور الإسلامية الوسطى، وتقع بين ذهبان وحلى، كما تقع على ساحل البحر الأحمر من ناحية تهامة عسير، وفيها ترسو السفن، وهى بين ميناء حلى بن يعقوب من الشمال، وميناء القحمة من الجنوب، وقد سميت باسم البرك ابن وبرة بن يعلى بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة^(١٠٩). وهذه المدينة وإن كانت معروفة خلال القرون الإسلامية الأولى، ثم زادت شهرتها منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وذلك فى عهد المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، الذى تذكر بعض الروايات التاريخية أنه اهتم بها فأمر بعمارها وتحصينها، كما رتب الجنود على جبل البرك لحماية النشاط التجارى كأحد الموانئ الهامة على البحر الأحمر^(١١٠).

وقنونا أحد المواقع التجارية والحضرية فى تهامة، فقد ورد ذكرها عند الهمدانى كأحدى المحطات الواقعة على الطريق الواصل بين مكة واليمن^(١١١)، كما أنها كانت معروفة كموقع

تجارى هام قريب من سوق حباشة الذى عرف فى الجاهلية والإسلام، حيث يقول الأزرقي عن هذا السوق وقربه من قنونا : «وحباشة سوق الأزد، وهى فى ديار الأوصام من بارق، من صدر قنونا وحلى ...» وهى من مكة على ست ليال، وهو آخر سوق خريت» (١١٢).

أما مدينة السرين فكانت أحد الموانئ الهامة على ساحل البحر الأحمر، وقد ذكرها الرحالة المقدسى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فقال «والسرين بلد صغير له حصن الجامع فيه على باب البلد مصنعه، وهو فرضة السروات، والسروات معدن الحبوب والتمور، والبردية، والعسل الكثير» (١١٣). ولهذا فأننا نجد أن بلدة السرين قد ظهرت مع غيرها من موانئ بلاد تهامة خلال العصور الوسطى كى تربط سكان أهل تهامة والسراة مع غيرهم من الشعوب والتجار الذين كانوا يطلون على البحر الأحمر من جهات عدة، أو كانوا يعملون فى نقل البضائع من أو إلى أرض تهامة والسراة.

ويبدو أن بلدة السرين لم تعمر طويلاً فى نشاطها التجارى الحضارى، حيث أخذت المصادر تكتب عنها منذ منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فيذكر أحد الباحثين المعاصرين بعض التفاصيل عن هذه المدينة فيقول : «إن هذه الفترة كانت الحياة العامة فيها فى تناقص وتأخر إلى أن آل بها ذلك إلى الخراب والموت فى أواخر القرن الثامن الهجرى، حيث ظهر على أقلام المؤرخين ذكر اسم الواديين من مستهل القرن التاسع الهجرى بديلاً لاسم السرين تبعاً لاسم الموقع البديل الذى اتخذته نواب أمير مكة على تلك الجهات» (١١٤) ويؤكد هذا القول ما ذكره عمر بن فهد فى تاريخه عندما قال «وتوجه راجع بن قتادة إلى اليمن هارباً، لما استولى عليها أبوسعدي ابن أخيه، على بن قتادة، وسكن السرين يعنى - الموضع المعروف بالواديين» (١١٥).

أما مدينة عشم، أو مخلاف عشم، كما ورد ذكره ضمن غيره من مخاليف مكة، فلقد أورده العديد من الجغرافيين والرحالة، عند ذكرهم لمخاليف تهامة، فذكروا أن لمكة مخاليف، وسموها أحياناً بالحصون، ثم أوردوا أسماء عديدة منها: السرين، وضنكان، وعشم، وييش (١١٦). ويظهر أن هذه البلدة كانت نشطة بتجاراتها وحضارتها حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، حيث تواتر ذكرها فى مدونات رجال هذه الفترة، وذلك بوصفها إحدى المراكز الهامة فى تهامة (١١٧). بينما فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) صمتت المصادر عن ذكرها تماماً، فعلى سبيل المثال، لم

ترد فى معجم ياقوت الحموى، خلال القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، مما يشير بطريق غير مباشر إلى انعدام أهميتها فى زمنه، وأن الخراب قد لحق بها (١١٨).

ومدينة حلى كانت من أشهر مدن تهامة، ويذكر الحجرى أنها «بلد من تهامة فى شمالها ، جنوبى القنفذة على مسافة سبع مراحل من مكة» (١١٩) و «تطلق كلمة حلى على وادى حلى المشهور قديماً وحديثاً باتساعه ، وخصوصية أرضه، كما تطلق هذه الكلمة على مدينة حلى المعروفة فى المصادر العربية باسم: حلى بن يعقوب التى يعتقد بأنها كانت العاصمة المركزية للوادى» (١٢٠). وهذه المدينة كانت من أكبر وأنشط محطات طرق الحج اليمينية إلى مكة المكرمة ، كما تذهب بعض المصادر الإسلامية المبكرة إلى أنها بلغت قمة تطورها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . وظلت تؤدى دورها الحضارى حتى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، حيث أشار إليها ابن بطوطة فى رحلته فذكر أنها مدينة كبيرة، تتسم بالازدهار العمرانى، ووصف جامعها الكبير بأنه أحسن الجوامع (١٢١)، كما يعلق أحد الباحثين المحدثين فى ثنايا حديثه عن حلى من خلال أوصاف المؤرخين لها بأنها كانت مدينة ضخمة تضم بين جنباتها سوقاً تجارياً كبيراً، ومسجداً جامعاً ، وآخر ثانوياً ، علاوة على أعمالها العديدة من قرى ونواح (١٢٢)، فيقول : «ولاشك أن هذا دليل قاطع على أنها كانت مدينة متطورة ، وأنها كانت عاصمة لإقليم حلى بأسره» (١٢٣).

وعلاوة على هذه المراكز التجارية والحضرية لبلاد تهامة ، فهناك أيضاً الأجزاء التهامية الداخلية الواقعة بين سواحل البحر الأحمر وسفوح جبال السروات ، والممتدة من مكة المكرمة شمالاً إلى مخلاف حكم (جازان) جنوباً، مثل : الليث ، والقنفذة (١٢٤)، ثم تهامة سراة غامد وزهران وحاضرتها المخوة ، يليها إلى الجنوب تهامة سروات الحجر، كوادى خاط ، والمجاردة ، وبارق ، ثم بلدة محائل ، ورجال ألمع ، ودرب بنى شعبة، والشقيق، وغيرها مواطن عديدة كانت لاتقل فى أهميتها الحضارية والتجارية عن مدن عشم، والسرين، وعثر ، وبيش ، وحلى وغيرها (١٢٥).

أما المراكز السروية التجارية والحضرية ، فقد كانت منتشرة فى أرجاء المنطقة السروية، ولكننا سوف نشير إلى أهمها . وهناك عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل قد أشاروا إلى أسماء العديد من تلك المحطات التجارية التى تقع على الطريق السروية التى تربط بين اليمن والحجاز (١٢٦).

ويأتى فى الجنوب مدينة نجران التاريخية، وقد أفاضت المصادر فى الحديث عن هذه البلدة، وأشارت إلى أهميتها السياسية، والدينية، والاقتصادية^(١٢٧). ولما امتازت به بلاد نجران من استراتيجية الموقع، فقد أكسبها ذلك أهمية كبيرة فى مجال التجارة، وكذلك خصوبة تربتها جعلها من المدن الزراعية التى تنتج التمور والحبوب وأنواعاً أخرى من المحاصيل الزراعية التى قامت عليها بعض الصناعات والحرف التقليدية، علاوة على تصديرها إلى الجهات المحيطة بها^(١٢٨).

ويلى مدينة نجران مخلاف جرش (جزء من منطقة عسير الحالية)، أو مدينة جرش، وهى لا تقل فى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية عن مدينة نجران، بل إن هذه المدينة قد ورد ذكرها فى المصادر الإسلامية المبكرة منذ أن دخلها الإسلام فى عهد الرسول (ﷺ)، واستمرت تؤدى مهمتها السياسية والحضارية فى منطقة عسير حتى القرن السابع، ورعا الثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، ثم يختفى ذكرها بعد ذلك^(١٢٩). ومن يتجول فى موقع مدينة جرش اليوم، وهى تبعد عن مدينة أبها نحو الجنوب الشرقى بحوالى (٤٠-٣٥) كيلو متراً، يجدها لازالت تحتوى على نقوش ورسوم وآثار عديدة توضح قيام نشاط حضارى تجارى كبير بها، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطه^(١٣٠). وإننى من خلال هذا البحث أهيب بالأقسام الأكاديمية الأثرية المختصة فى البلاد السعودية أن تولي هذا المكان بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب، وإننى متأكد أنهم سوف يجدون مادة علمية كثيرة تعكس تاريخ وحضارة هذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربية^(١٣١).

ونكتفى بالقول، بأن الهمدانى قد أفاض فى ذكر تفصيلات دقيقة عن مواطن السراة سواء المنحدرة تجاه الأغوار التهامية، أو بلدان السراة الواقعة فى الأجزاء الشرقية، علاوة على ما ذكره عن مواطن سروات عسير (عنز) والحجر، وغامد وزهران^(١٣٢)، مما ينهض دليلاً على كون العديد من هذه المراكز زاخرة بالنشاطات البشرية المتنوعة كفاية لحاجة سكانها، ويأتى على رأس هذه النشاطات النشاط التجارى. هذا ونلاحظ أن هذه المواطن والمراكز الحضارية التى دونها الهمدانى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لازالت تحمل نفس المسميات إلى يومنا هذا، بل لازال كثير منها يتميز بالنمو والنشاط الحضارى الذى تعيشه مواطن عديدة فى شبه الجزيرة العربية. ومن هذه المراكز : بلدة ظهران الجنوب فى ديار وادعه، وإلى الشمال من بلاد نجران، ثم سراة عبيدة، وأحد رفيدة فى بلاد قحطان أو (سراة جنب). أما أبها،

والملاحة ، وطبيب ، وتندحة ، والقرعاء ، وبيشة ، وترج ، وتباله ، وعبل ، وتنومة ، والجهوة ، والخضراء ، وحلباء ، وسدون ، والعرق ، وغيرها مما ذكر الهمداني ، فلا زالت تحمل نفس المسمى الذى كانت تحمله فى القرون الإسلامية المبكرة ، كما أن بعضها ، تعد اليوم ، من المحافظات الكبرى فى منطقة عسير (مخلاف جرش قديماً) (١٣٣) . وجميع هذه البلدان وغيرها فى أرض السروات تكتظ بالكثافة السكانية ، إلى جانب توافر جميع المقومات الأساسية لقيام نشاطات حضارية متعددة ، من اجتماعية ، وفكرية ، واقتصادية وغيرها (١٣٤) .

٧- الأسواق :

نشطت حركة التجارة الداخلية فى بلاد تهامة والسراة نشاطاً ملحوظاً نلمسه فى العديد من مدن هذه البلاد وقراها ، فكان هناك العديد من الأسواق التى تقام فى ساحات هذه المدن والقرى . ورغم كثرة هذه الأسواق وتنوعها ، إلا أن الغالب عليها ، كما يبدو ، هو نظام الأسواق الأسبوعية التى كانت تقام فى يوم معين من أيام الأسبوع ، وكان هذا النوع من الأسواق أكثر شهرة وذيوغاً ، لاسيما فى المدن والقرى الصغيرة ، فكان لكل قبيلة أو عشيرة فى بلاد تهامة والسراة سوق يقام فى أرضها ، ويسمى باليوم الذى يقام فيه ، فمثلاً : يقال سوق الجمعة ، وسوق السبت ، وسوق الاثنين ، وهكذا نسبة إلى اليوم الذى يقام فيه السوق من كل أسبوع (١٣٥) . ويخرج أرباب الصناعات والبضائع بضائعهم وسلعهم على اختلافها ، ويبدأ السوق فى الصباح الباكر ، ويستمر إلى آخر النهار ، ويزدحم طوال اليوم براغبي البيع والشراء ، وكانت القبيلة التى يقوم السوق على أرضها ، غالباً ما تتولى حمايته من أى اعتداء ، وتوفير الأمن والراحة للتجار ومرتادى الأسواق (١٣٦) .

ولم تكن وظيفة الأسواق تقتصر على مزاولة البيع والشراء ، وإنما كان الناس يتداولون فيها الآراء ، ويتناقلون الأخبار ، ويتم فيها الوعظ والإرشاد . وأغلب الأسواق يكون فيها مكان مرتفع يسمى بـ (الراية) ، يستخدم للوعظ أو الإعلان من فوقه عن خبر معين . ويذكر أن أهل تهامة والسراة كانوا يستخدمون مثل هذا المكان فى رفع العلم الأبيض لمن فعل أمراً حميداً ليشكره الناس ، وينوهوا بفضله ، وقد يرفعون علماً أسوداً لمن غدر ، أو لم يف بالتزاماته نحو عشيرته ، أو غيرهم (١٣٧) .

ومعظم السلع فى أسواق تهامة والسراة الأسبوعية كانت تعرض على الأرض ، فيفرش البائع لها قطعة من القماش ، وأحياناً تكون على الأرض بدون أى فرش . والسوق الواحد يكون

فى مكان محدد من أرض القبيلة (١٣٨). وقد عرفت تهامة والسراة بالأسواق المتخصصة، حيث كان السوق الواحد يضم عدة أسواق، كل منها قائم بذاته على بيع وشراء سلع معينة، فكان سوق للحبوب، وآخر للماشية، وثالث للبز، وغيرها لبيع أغراض أخرى متنوعة (١٣٩).

والى جانب ذلك عرفت تلك المناطق أيضاً الأسواق الدائمة، حيث شهدت بعض الأسواق وجود حوانيت ومحال صغيرة فى أطرافها، وخاصة فى الأسواق الكبيرة بالمدن مثل: نجران، وجرش، وبيشة وغيرها فى بلاد السراة، وكذلك حلى، والسرين، وعشر، وغيرها فى الحواضر التهامية (١٤٠). وكانت هذه الأسواق على ما نرجح تقوم على غرار الأسواق الإسلامية فى العصور الوسطى بالمدن والحواضر الكبرى، حيث تتألف من شارع طويل تكتنفه الحوانيت والمحال من الجانبين، وكان يتقدم كل حانوت مصطبة مرتفعة يجلس عليها البائع أو صاحب الحانوت مع عملاته لعقد الصفقات، وإجراء عملية البيع والشراء، وأحياناً كانت بعض الحوانيت الكبرى تنقسم إلى قسمين أحدهما داخل الآخر، ويتخذ القسم الداخلى مخزناً للبضائع، بينما الجزء الخارجى يعد معرضاً لها، ومجلساً للعملاء (١٤١).

وفى أثناء حديثنا عن الطرق التجارية لاحظنا مرور بعضها بمحطات عديدة حفلت بالنشاطات البشرية المتنوعة، وبخاصة الأسواق التجارية، التى كانت مقصداً للتجار السالكين لتلك الطرق، حيث اعتادوا النزول فى بعضها، وعقد الصفقات التجارية مع من يصادفونهم من التجار بكل محطة، أو مع سكان القرى والمناطق المحيطة بكل محطة تجارية. وبعض الأسواق التجارية فى هذه المحطات ترجع شهرتها التجارية إلى العصر الجاهلى، واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة. وأبرز هذه المحطات النشطة بأسواقها: أسواق الشعيبية، والسرين، وقنونا، وحلى والبرك، وعشم، وبيش، وبارق، وغيرها فى أرض تهامة، وكانت جميعها تعج بالحركة التجارية، ويرتادها الكثير من التجار من داخل بلاد تهامة والسراة ومن خارجها (١٤٢). ونجد بعض الجغرافيين والمؤرخين الأوائل ينوهون فى مدوناتهم عن نشاط بعض هذه الأسواق فى العصور الإسلامية الوسيطة. فابن المجاور يشيد بأسواق نجران وما حولها، ويقول: «وعليها المعول فى البيع والشراء» (١٤٣)، ويتحدث الهمدانى عن سوق عشر ويذكر أنه من أشهر أسواق تهامة خلال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، فيقول: «... بيش وبه موالى قرىش، وساحله عشر، وهو سوق عظيم» (١٤٤). ويؤكد المقدسى ما ذكره الهمدانى عن أسواق عشر أثناء حديثه عن تلك المدينة التى تعد

حاضرة لبيش فيقول : «... وعثر مدينة طيبة مذكورة ، لأنها قصبة الناحية ، وبها سوق حسن» (١٤٥)، ويتحدث ابن المجاور عن بعض نواحي تهامة، ومنها ميناء السرين، الواقع على البحر الأحمر، فيذكر نشاطه التجارى الزاخر، وأنه كان موثلاً للتجار القادمين من فارس بتجارتهن، وأنه لكثرة توافدهم عليه كانوا سبباً فى شهرته حتى أطلق عليه «بنابة الفرس على ساحل البحر» (١٤٦)، كما أشار المقدسى إلى هذا الميناء فذكر أنه (١٤٧) «فرضة السروات» ، وذلك لما يرد إليه من بلاد السراة من سلع متنوعة (١٤٧).

ونلاحظ كثرة الأسواق الأسبوعية فى بلاد تهامة والسراة، وتناثرها فى أنحاء البلاد، وقد لمست ذلك من خلال مشاهداتى الشخصية أثناء تجوالى وزياراتى للعديد من مناطق هذه البلاد المعنية بالدراسة خلال السنوات الماضية، فوجدت كل عشيرة أو قبيلة لاتخلو نواحيها من سوق أسبوعى، كما اطلعت على عشرات الوثائق التى تنص على مسمى بعض هذه الأسواق، ومن المسؤول عن حمايتها ، وينود أخرى عديدة تضمنتها هذه الوثائق تشير بل وتؤكد على استقرار الأمن بها (١٤٨). كما شاهدنا العديد من الآثار والنقوش التى لازالت واضحة للعيان فى بعض الأسواق، والتى تحتاج إلى تضافر جهود الدارسين والمهتمين لدراساتها والتنقيب عن آثارها، خصوصاً أن بعض الأسواق يبدو عليها القدم التاريخى، ومن الصعب تحديد عمرها التاريخى إلا عن طريق الدراسات والتنقيبات الأثرية (١٤٩). كما أن بعض الجهات الرسمية فى حكومة المملكة العربية السعودية بدأت منذ عدة سنوات تولى بعض هذه الأسواق الأسبوعية نوعاً من الجهود فى صيانتها والحفاظ على ما يوجد بها من تراث وآثار قديمة ، ونرجو من هذه المؤسسات الحكومية ، بل نرجو من المؤسسات التعليمية فى البلاد أن تضاعف الجهود فى الحفاظ على هذه الأسواق، ما تحتويه من تراث وفكر حضارى. ولعل الاهتمام بصيانة هذه الأسواق الاقتصادية الأثرية، والعمل على ترميمها وتجديدها يمثل أحد مظاهر التطور الحضارى الذى تشهده البلاد فى الآونة الحالية (١٥٠).

٨- الحسبة والمحاسب :

وإذا كانت مهمة حفظ الأمن، والقيام بأعباء الحراسة فى أسواق بلاد تهامة والسراة تقع على عاتق القبائل والعشائر المحيطة بكل سوق، فانا لانعدم إشارات وردت فى بطون المصادر الإسلامية تشير إلى أن أسواق التهائم والسراة قد عرفت - شأنها فى ذلك شأن الأسواق بالحواضر الإسلامية الكبرى- وظيفة المحاسب ، وذلك منذ أمد طويل ، فقد أمدتنا المصادر

بأن خلفاء المسلمين الأول كانوا يرسلون من قبلهم من يتولى وظيفة الحسبة فى أسواق تهامة والسرّة، ولا أظن أن أولئك المحتسبين كانوا يغطون جميع أسواق هذه البلاد، لكن من المحتمل أنهم كانوا يشرفون على الأسواق الكبيرة، والتي تقع فى مدن واسعة، أو على ملتقى طرق رئيسة^(١٥١). ومهمة المحتسب، أو والى السوق^(١٥٢)، أن يشرف على سير البيع والتجارة فى السوق، منعاً للغش، والتدليس، والتلاعب فى الأسعار، مما يؤدى إلى ارتفاع أثمان السلع، الأمر الذى يشغل كاهل الأهالى، ويزيد من أرباح تجار السلع. وكذلك يقوم المحتسب على فض المنازعات، وحل المشاكل التى قد تحدث فى السوق، وربما كان من مسؤولياته جباية الأموال من البائعين فى الأسواق نظير السماح لهم بالجلوس فيها وممارسة البيع وشراء، كما أن من مسؤولياته حفظ الأمن فى السوق، وكان يعين فى عمله عريقاً أو نقيباً لكل صناعة فى السوق من أهلها، خبيراً بعملهم وتدليسهم، وتقتصر مهمته على رقابة أهل الصناعة، وإطلاع المحتسب بأخبارهم، وأحياناً قد يتعرض المحتسب، أو والى السوق، للإيذاء من بعض العشائر المحيطة بالسوق، وما حصل فى سوق حباشة ببلاد بارق فى تهامة عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م) لأكبر دليل على وجود ولاية لبعض الأسواق فى فترات الإسلام المبكرة، حيث يذكر الأزرقى^(١٥٣)، وابن فهد أنه فى سنة ١٩٧هـ (٨١٢م) كان عامل مكة داود بن عيسى، استعمل عاملاً على هذا السوق «وهى آخر سوق خرب من أسواق الجاهلية، وكان والى مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه جند فيقيمون به ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، فقتلته قبيلة الأزد فى هذا العام، فأشار أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخرّبها وتركت»^(١٥٤).

ونخرج مما سبق ذكره عن الأسواق، والحسبة والمحتسب ببعض الاستنتاجات مثل:

أ- لا يستبعد أنه كانت هناك أسواق أخرى عديدة فى بلاد تهامة والسرّة، قد خربت نتيجة للصراعات القبلية فى البلاد، أو من قبل الولاة والأمراء فى الحجاز، وذلك لما قد يصدر من بعض القبائل المحيطة ببعض الأسواق، والمعتدية على عمال الأسواق المرسلين، كما حصل فى سوق حباشة، خلال عصر الخليفة العباسى الأمين ١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م)، وفى عهد ولاية والى مكة داود بن عيسى.

ب- إن بعض الأسواق كانت ذات أهمية تجارية، أو ذات موقع تجارى هام، فولاة مكة المكرمة كانوا يرسلون إليها المحتسبين ومعهم قوة عسكرية تعينهم على ضبط الأمن

وسير الحياة التجارية فى الأسواق المرسلين إليها، ولكن فيما يبدو أحياناً فان تلك القوة تكون صغيرة ، فلاتستطيع الدفاع عن نفسها، وخصوصاً لو ثارت فى وجوههم عشائر كبيرة، ومن ثم فانهم قد يتعرضون للخطر ويفقدون حياتهم.

ج- إن المشاهد اليوم لأرض تهامة والسراة، يرى جميع مقومات الحياة التجارية بها، فوقعها بين منطقتى الحجاز واليمن، ثم إطلالها على شاطئ البحر الأحمر أكسبها موقعاً تجارياً هاماً. كما أن وفرة الخيرات الزراعية والثروة الحيوانية بها، وتعدد مسالكها ، وتنوع تضاريسها أكسبها ميزة أخرى، إلى جانب كثرة سكانها ، وتعدد قراها ومدنها، كل هذا جعل الأسواق التجارية منتشرة بها، بل جعل النشاط التجارى الداخلى والخارجى معها ميسوراً .

٩- الصادرات والواردات :

إن بلاد تهامة والسراة كانت تتمتع بنشاط تجارى زاهر، فلاتقتصر المتاجر على أهل البلاد أنفسهم، وإنما خرجوا للمتاجرة مع سكان الإقليم والأجزاء المجاورة لهم فى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

ففى ميدان التجارة الخارجية بأرض تهامة والسراة، نلاحظ أن معظم العشائر والقبائل ، بل جميع المدن والحوضر كانت تحتوى على أسواق أسبوعية تكتظ بأنواع عديدة من السلع، سواء المحلية منها كالمصنوعات والمنتجات التهامية والسروية التى كانت تشتهر بها وتعمل على تصريفها فى الأسواق الخارجية، أو تلك الواردة إليها من الشرق الأقصى وسواحل أفريقيا الجنوبية الشرقية مما أدى إلى التنوع الشديد فى حركة الصادر والوارد (١٥٥). وقد توافر فى هذه الأسواق الكثير من السلع المحلية، كالحبوب بأنواعها، والصناعات اليدوية المتنوعة، كأدوات الزراعة، والتجارة، والحدادة، والمنسوجات ، والجلود بأنواعها، وغيرها (١٥٦). وغالباً ما كانت تصدر هذه السلع من الحواضر والمراكز الحضارية المتعددة فى أرض تهامة والسراة، وذلك لتوفر الزراعة عندهم. أما أهل البادية والأرياف فكانوا يتاجرون فى بعض الحيوانات الأليفة التى توجد لديهم مثل: الإبل ، والأبقار، والأغنام ، والماعز . كما كانوا يتاجرون فى منتجات تلك الحيوانات مثل: السمن، والزبد، والأصواف ، والجلود (١٥٧).

وإذا ما نظرنا فى بعض المنتجات التى كانت تتوفر فى بلاد تهامة والسراة ، ثم تصدر إلى مدن اليمن، والحجاز ، واليمامة ، والبحرين ، وأحياناً إلى خارج شبه الجزيرة العرب، فان

الحبوب تأتي على رأس قائمة تلك السلع . وقد وجدنا عدداً من المؤرخين والجغرافيين الأوائل يذكرون كثرة إنتاج الحبوب بأرض تهامة والسراة^(١٥٨). بل إن ابن الجوارى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) يذكر كثرة الحصون والقصور فى بلاد السراة، وكان من فوائد تلك القصور اتخاذها مخازن للحبوب فقال: «وقد بنى فى كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل واحد من أهل القرية له مخزن فى القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزة وملكه ، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم»^(١٥٩). ومثل هذه الحصون والمخازن التى توجد بها تدل على كثرة إنتاج الحبوب فى البلاد، بل إن الباحث قد عاصر هذه العادات عند أهل السراة خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى)، حيث كان لكل قرية حصن، أو أكثر^(١٦٠)، ثم إن كل أسرة فى القرية تمتلك غرفة أو جزءاً من غرفة فى هذا الحصن كى تخزن فيها ما تنتج مزارعهم، ولا تزال عشرات الحصون القديمة، التى كانت تستخدم لمثل هذا الغرض ماثلة للعيان، مع العلم أنها أهملت وبدت عليها علامات الخراب والاندثار^(١٦١).

كما تعد الخضروات والفواكه من السلع الهامة التى توافرت ببلاد تهامة والسراة نظراً لكثرة زراعتها ، وخصوبة أراضيها ، والتى أشار إليها غير واحد من الرحالة والمؤرخين مثال ذلك ابن جببر الذى ذكر أنها «أرض خصبة متسعة كثيرة التين والعنب، واسعة الحرث ، وافرة الغلات»^(١٦٢)، ومن ثم اضطلع سكانها بمهمة تصدير الفائض منها إلى الحجاز وبلاد اليمن وأفريقية عبر البحر الأحمر، ويأتى فى مقدمة هذه السلع الكروم على أنواعها ، والرمان، واللوز ، علاوة على بعض السلع الأخرى كالسمن والعسل^(١٦٣). كذلك أشاد الهمدانى بأرض تهامة والسراة وخصوبتها التى تبرز فى تنوع ووفرة محاصيلها الزراعية، التى عدد بعضها مثل: البر، والشعير، والتفاح، والخوخ ، والكمثرى ، والعسل^(١٦٤). ويوافق قدامة الهمدانى فى وفرة الفواكه بأرض السراة^(١٦٥)، كما أكد المقدسى ما ذكره ابن جببر ، عن خروج الفائض من الفواكه والخضروات السروية والتهامية مصدراً إلى أسواق مكة المكرمة ، وإلى موانئ البحر الأحمر لتصديرها إلى خارج شبه الجزيرة العربية^(١٦٦)، كما ذكرت مصادر أخرى وفرة هذه المزروعات فى بلاد السراة مثل: بيشة ، وجرش ونجران، ونوهت بعدد من مواطن وفرة الفواكه ، والتمور بها ، حتى إن نجران وصفت باسم «نجران الحقول»^(١٦٧). كما أشادت ، دلالة على شهرتها الزراعية، بتمور بيشة ونجران وجودتها ، ويشارك الهمدانى فى هذا القول عندما وصف بعض أنواع التمور المنتجة فى بلاد السراة ومدح جودتها ، فذكر أنها على نوعين هما: المدبس، والقسب، ولا توجد إلا ببلاد السراة، وخاصة فى نجران وبيشة^(١٦٨).

كذلك اشتهرت أرض تهامة والسراة بوفرة ثرواتها النباتية الطبيعية، والتي تقوم على المنحدرات من جبال السروات تجاه تهامة، والتي يطلق عليها اسم «صدر» وجمعه «أصدار» ، وقد حفظ لنا الدينوري أسماء مئات الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة، والمستخدمه لأغراض عديدة، كما تحدث عن جودة بعض تلك الأشجار، وتزايد الطلب عليها فكانت تصدر أخشابها أو أوراقها إلى بعض الأسواق الكبرى في الحجاز، واليمن، واليمامة، كي يستفاد منها في منافع عديدة^(١٦٩). وقد ساعد توافر هذه الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة على تكاثر حشرة لها أهميتها في المجال الاقتصادي ، ونعني بها النحل، مما أدى إلى توفر العسل الذي يزيد عن حاجة أهل البلاد، وبالتالي دخل في قائمة صادراتهم، ودلالة على كثرته ، أن بعض المواطنين في أرض السراة كانوا يدفعون عليه زكاة منذ عهد الرسول (ﷺ) ، وعندما جاء عصر الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب، (رضى الله عنه) امتنع بعضهم عن دفع زكاته، فلم يكن على أمير الطائف الذي كان يتولى إدارة شؤون أهل السراة ، إلا أن يكتب للخليفة عمر بذلك ، فكتب عمر إلى الوالى قائلاً : «إن أدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبی (ﷺ) فاحم لهم أوديتهم، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبی (ﷺ) فلا تحم لهم»^(١٧٠). ويذكر أن خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا يرسلون إلى أمرائهم في أرض الحجاز كي يزودهم بعسل السدر، والندغ ، والسحاء ، والضرم المتوافر عند أهل تهامة والسراة^(١٧١). ولم تقتصر صادرات تهامة والسراة من العسل على شبه الجزيرة العربية ، ودمشق ، وبغداد ، بل عرف طريقه أيضاً، نظراً لجودته الفائقة ، عبر موانئ البحر الأحمر إلى بعض الأجزاء الأفريقية ، كما اشد عليه الطلب ببلاد فارس^(١٧٢).

كذلك كانت الجلود والمنسوجات من السلع الهامة التي تصدر إلى خارج بلاد تهامة والسراة، فيشيد ابن حوقل ويشاركه الاصطخرى وقدامة بجودة أديم نجران ، وجرش ، وأجزاء عديدة من أرض السراة^(١٧٣). ويذكر الإدريسي شهرة هذه المناطق بالمصنوعات الجلدية، لاسيما نجران وجرش، حيث تعد دباعة الجلود صناعة رئيسة لمعظم أهلها، وقد بلغت الجلود المدبوغة فيهما درجة عالية من الجودة، ويؤكد ذلك الإدريسي بقوله : «وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء من الجودة»^(١٧٤) ، وفي موضع آخر يؤكد أهمية هذه الصناعات لأهل هاتين البلدين فيقول : إن هذه الصناعة هي «... بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك»^(١٧٥). وهذه السلعة كانت تصدر إلى حواضر عديدة في العالم الإسلامى ، بل كانت

تهدى بعض المصنوعات الجلدية السروية التهامية إلى بعض الزعماء والخلفاء والأمراء، وهذا يدل على جودتها وعلو قيمتها^(١٧٦). كما تفتن أهل تهامة والسراة في تزين الجلود وزخرفتها برسوم وزخارف متنوعة، وعمدوا إلى الضغط عليها بآلات معينة، كما تفتنوا في تذهيب بعض الجلود الأخرى وحملها إلى أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة، مما عرف به (المذهب)، وهو من أرقى الجلود وأغلاها، وبشترها الأغنياء والأمراء لاستعمالها في الأشياء الغالية^(١٧٧). ولكثرة الجلود ودباغتها في بلاد تهامة والسراة فكانت تستخدم لباساً وغطاءً أثناء الليل، وتصنع منه النعال وأدوات أخرى عديدة^(١٧٨). كما أن الهمداني أثناء تجواله في أرض تهامة والسراة أشاد بدقة صناعة الجلود بتلك البلاد، وخاصة في مواطن نجران، وجرش، وبيشة وغيرها، وذكر ما يصنعون من المحافظ وتسمى (الجراب)، وتصنع من الجلود السمكية، وبأحجام مختلفة، وهذه الجراب أو المحافظ لها استعمالات كثيرة منها ما يوضع به الطعام للأسفار، وأحياناً توضع بها النقود: الدراهم الفضية، والدنانير الذهبية، ومثل هذه المصنوعات كانت تصدر إلى أسواق الحجاز، ومن هناك ينقلها تجار الشام، ومصر، وبلاد فارس، والعراق إلى مواطن عديدة في العالم آنذاك^(١٧٩).

كذلك عرفت المنسوجات المنتجة في بلاد تهامة والسراة طريقها للتصدير، وخاصة ما ينتجه أهل مخلاف نجران، فتشير المصادر إلى مصالحة الرسول (ﷺ) لنصارى نجران على ألفى حلة يؤدونها له كل عام، وثمن الحلة آنذاك كان أربعين درهماً، كما ذكر عن الرسول (ﷺ) أنه كفن في ثلاثة أثواب نجرانية^(١٨٠)، وهذا مما يدل على بروز نشاط نجران في مجال صناعة وتصدير المنسوجات، لاسيما القطنية بوجه خاص، وكذلك الحلل اليمانية المشهورة التي تغنى بها الشعراء، وبطعم نسيجها بخيوط الحرير^(١٨١).

ومما ضاعف من شهرة هذه البلاد في صناعة المنسوجات، وساعد على تقدمها وازدهارها، ازدياد الطلب عليها من أجل كسوة الكعبة، فتروى المصادر أن خلفاء بني أمية، وكذلك بعض خلفاء بني العباس، طلبوا من أهل نجران صناعة الحلل النفيسة لكسوة الكعبة المشرفة، وكانت هذه الحلل مطعمة بالدبيج^(١٨٢).

كما كان أهل تهامة والسراة يصدرون إلى أسواق جزيرة العرب في الحجاز، واليمامة، واليمن، والبحرين بعض الأدوات الحديدية التي كانت تصنع في بلادهم مثل: الخنجر، والسيوف، وبعض الأدوات المستخدمة في الزراعة والصيد وغيرها^(١٨٤). أيضاً كانت الحيوانات توجد في هذه البلاد بكثرة، وغالباً ما كانوا يصدرونها إلى مكة المكرمة أثناء موسم

الحج، وربما صدروا بعضها من موانئ البحر الأحمر إلى خارج شبه الجزيرة العربية (١٨٥)، كما كانوا يصدرون من تلك الموانئ الحبوب والتمور وغيرها (١٨٦).

وإذا كان أهل تهامة والسراة قد صدروا العديد من سلعهم المحلية إلى أسواق عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، فإنهم أيضاً كانوا يستوردون بدورهم العديد من السلع التي يحتاجونها في تصريف حياتهم اليومية، وأحياناً يقايضون بها سلعهم التي جلبوها من بلادهم. ومعظم الأسواق الكبيرة في المواطن الساحلية التهامية وكذلك في البلاد السروية كانت ترد إليها السلع من خارج أرض تهامة والسراة، وبها يتم التبادل التجاري. فكانت نجران، وجرش، وبيشة، والطائف وغيرها من الأسواق الساحلية تعج بالحركة التجارية، وما يؤكد ذلك قول ابن المجاور «وعليها المعول في البيع والشراء» (١٨٧). فكان التبادل التجاري يتم في هذه الأسواق المحلية بين التجار القادمين إليها من اليمن، والحجاز، والعراق وفارس، وبلاد الروم، فكان التجار المحليون يجلبون سلعهم ويبيعون بالمقايضة مع أولئك التجار القادمين (١٨٨). بل كان التهاميون والسرويون يستوردون من اليمن العديد من السلع كالمنسوجات اليمنية، المتسمة بدقة الصنع، وجمال الألوان والزخرفة، علاوة على السلع الشرقية، لاسيما الأفاقية الواردة من الشرق الأقصى والتي كانت تجد سوقاً نافقة عندهم لعدم وجودها ببلادهم. وكانت هذه السلع تصل إليهم عن طريق موانئ البحر الأحمر مثل: «ميناء عدن، وجازان، والبرك، والسرين، والشعيبة، وجدة، وغيرها» (١٨٩). كما كانوا يستوردون من مكة المكرمة أيضاً بعض الملاحف، والعباءات، وغير ذلك من المنسوجات، وأدوات الزينة. وكثير من هذه السلع المستوردة كانت ترد إلى الحجاز من بلاد الشام، ومصر، والمغرب، والأندلس، وفارس، والعراق، وبلاد ما وراء النهرين (١٩٠).

وقد دلت لنا بعض المصادر على عمق العلاقات التجارية القائمة بين سكان تهامة والسراة وأهل الحجاز، وخاصة أهل مكة المكرمة، فيذكر ابن حبيب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن التهاميين والسرويين كانوا يرتادون بسلعهم أسواق مكة، لاسيما السلع الغذائية، فيجدون حسن الاستقبال والترحاب من المكيين، وخاصة تجارهم، وذلك لجودة ما جلبوا من سلع قيمة (١٩١). كما يشير الأزرقى أيضاً وهو ما أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى تعيين مكان محدد في أسواق مكة ترتاده غير أهل تهامة والسراة فتقيم به مدة إقامتها وممارستها التجارة في مكة (١٩٢) ويأتى ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فيذكر نشاط السرويين التجاري في مكة، وما يجلبون معهم من حبوب وسلع

متنوعة يقايضونها بما يفيض بأسواق مكة من سلع لا تتوفر ببلادهم^(١٩٣). كما يورد ابن جبير تفصيلات أخرى دقيقة عن تجار بلاد السروات الوافدين إلى مكة المكرمة، ومعاملاتهم التجارية مع المكيين، مما ينهض دليلاً على تواصل هذا النشاط التجارى بين الطرفين ، والدور الهام الذى لعبه أهل السروات فى تزويد الحجازيين وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول : « إن قبائل تعرف بالسرو أو السراة ، أهل جبال حصينة يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجتمعون بين النية فى العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوباء إلى مادونها ، ويجلبون السمن ، والعسل ، والزبيب ، واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة ، يصلون فى آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر ، فيرغدون معاش أهل البلد ، والمجاورين فيه ، وينفقون ويدخرون ، وترخص الأسعار ، وتعم المرافق ، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى ، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة فى شظف من العيش »^(١٩٤).

ويضيف ابن جبير : « ومن العجب فى أمر هؤلاء الماترين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه دينار ولا بدرهم ، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل ، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأتعة والملاحف المتان ، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ، ويباعونهم به ويشارونهم ، ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجذب ، ويقع الموتان فى موأشيتهم وأنعامهم ، ويوصلهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة فى أموالهم^(١٩٥).

ويؤكد ابن بطوطة فى رحلته على ما ذكره ابن جبير فيقول : « وأهل الجهات الموالية لمكة ، مثل بجيلة ، وزهران ، وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ، ويجلبون إلى مكة : الحبوب ، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، والزيت ، واللوز فترخص الأسعار بمكة ، ويرغد عيش أهلها ، وتعمهم المرافق »^(١٩٦) ويضيف ابن المجاور إلى ما سبق قوله : « فإذا دخلوا مكة ملؤوها خبزاً من الحنطة ، والشعير ، والسويق ، والسمن ، والعسل ، والذرة ، والدخن واللوز والزبيب ، وما شابه ذلك ، وكذلك يقول أهل مكة : حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منهم القوت »^(١٩٧).

وقد ظل هذا النشاط التجارى متواصلاً إلى عهد قريب فكنا نرى أهل تهامة والسراة يسوقون موأشيتهم ويحملون بعض سلعهم إلى أسواق مكة فى مواسم الحج كى يبيعوها هناك ويستبدلوا بأثمانها سلعاً أخرى تفيدهم فى حياتهم اليومية ، كالألبسة المختلفة ، وأدوات الزينة والطعام وما شابهها .

١٠- المعاملات التجارية:

إن دراسة أوجه النشاط التجارى لبلاد تهامة والسراة، فى ضوء الازدهار الذى شهدته تلك المنطقة فى مجال التجارة داخلياً وخارجياً ، تستلزم من الباحث بطبيعة الحال، استجلاء طرق التعامل التجارى المتبعة آنذاك فى أسواقها ، ودرج التجار من أبنائها والوافدين عليها على التعامل بها.

وفىما يلى دراسة موجزة لأوجه التعامل:

أ- المقايضة :

وكانت من أهم وسائل التعامل التجارى داخل أرض تهامة والسراة، وقد لجأ إليها التجار لإبرام الصفقات التجارية نظراً لقلة العملة الذهبية فى أسواقهم، فاستعاضوا بها عن النقد، وكانوا يعمدون إلى تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عند إتمام إجراءات المقايضة. وقد شملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة فى الأسواق، حيث كان المنتجون يقومون بنقل إنتاجهم للأسواق المحلية، حيث يجدون فيها سلعاً أخرى هم فى حاجة إليها، فيتم تبادل السلع بعضها ببعض كل حسب حاجته ، ولم تكن المقايضة بوصفها إحدى وسائل التعامل التجارى، مقتصرة على الأسواق المحلية، وإنما كانت سائدة أيضاً داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، يؤكد ذلك كل من الأزرقى، وناصر خسرو، وابن جبير ، وابن الجاور، وابن بطوطة خلال حديثهم عن نشاط أهل السراة التجارى، وكيف أنهم كانوا يحملون من بلادهم سلعاً عديدة مثل الحبوب بأنواعها ، والسمن ، والعسل، والزبيب ، واللوز وغيرها ، فيأتون بها إلى أسواق الحجاز فيقايضون بها سلعاً أخرى يحتاجونها فى ديارهم ^(١٩٨). وقد نص ابن جبير على شيوع المقايضة كوسيلة للتعامل التجارى أساسية بين تجار السروات وأهل مكة بشكل صريح فيقول: « ومن العجب فى أمر هؤلاء - يقصد أهل السراة- الماترين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم . إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأتعة والملاحف المتان، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ، ويباعونهم ويشارونهم» ^(١٩٩).

ب- التعامل النقدي:

تعد وحدات النقد العمود الفقرى للاقتصاد النقدى، فهى تمثل سلطة الدولة وشرعيتها ، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة، ومرونة قصوى فى سبيل تحقيق مطالبه وإشباع رغباته

الشرائية (٢٠٠). وقد عرفت أسواق تهامة والسراة مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامى التعامل النقدي كواحد من أهم أوجه التعامل المختلفة التى سادت فى الأوساط التجارية فى العصور الوسطى الإسلامية، ولاسيما ما يتعلق منها بالتبادل التجارى بينها وبين أقطار العالم الخارجى ذات العلاقات الاقتصادية معها .

ويمكننا أن نقسم الوحدات التى سادت أسواق شبه الجزيرة العربية بما فيها أسواق تهامة والسراة وجرى بها التعامل التجارى فى الفترة موضوع البحث إلى ثلاث وحدات نقدية وهى : النقود الذهبية (الدينار) . ويمثل الوحدة النقدية الرئيسة لاسيما فى المعاملات والصفقات التجارية الكبرى، ثم النقود الفضية (الدارهم) ، وكانت تجرى بها عمليات البيع والشراء فى الأسواق الداخلية لاسيما السلع الغذائية، والنقود النحاسية (الفلوس) وهى بمثابة الوحدات النقدية المساعدة.

ونلاحظ أن أهل تهامة والسراة قد استخدموا العملة على اختلاف وحداتها فى نشاطهم التجارى بوجه خاص لاسيما مع تجار المناطق المجاورة كبلاد الحجاز واليمن، وقد أشارت المصادر إلى أن العملة التى استخدمها تجار بلاد الحجاز واليمن فى تجارتهم الداخلية والخارجية، ومن بينها تجارتهم مع بلاد تهامة والسراة ، كانت هى العملة الذهبية السائدة فى العالم الإسلامى خلال العصر الإسلامى المبكر ، وبالتحديد زمن الدولتين الأموية والعباسية (٢٠١).

أما عن أنواع العملة المستخدمة فى التعامل التجارى بين سكان تهامة والسراة، وكذلك أهل مكة واليمن، فيذكر المقدسى أنهم استخدموا النقود المحلية المطوقة ، وهى العشرية ثلثا المثقال (٢٠٢). حيث يقول «وتؤخذ كدراهم اليمن عدداً ، وتفضل العشرية ، حتى ربما كان بينها دُرهم، ودينار عدن قيمته سبعة دراهم، وهو ثلثا البغوى توزن ولا تعد ... والدراهم المستعملة فى الأقاليم- يقصد بلاد اليمن- تسمى بمكة المحمدية ... ولأهل اليمن العلوية» (٢٠٣).

كما عرفت بلاد الحجاز ، عملة «المزبقة» ، ولكن هذه العملة كثيراً ما كانت تتعرض للتزييف مثلها فى ذلك مثل الدراهم النقية التى كانت هى الأخرى تتعرض للتزييف ، وتبلغ قيمة هذا النوع من العملة (المزبقة) ، $\frac{1}{34}$ من الدرهم النقى، أى أن كل أربعة وعشرين درهماً من المزبقة ، تساوى درهماً واحداً من الدراهم النقية (٢٠٥). ولوحظ أن أهل السراة

وتهامه كانوا يتعاملون أحياناً بهذه العملة عند قدومهم إلى أسواق الحجاز، وربما حملوها إلى ديارهم للتعامل بها هناك.

وهناك نوع ثالث من العملة كانت سائدة بدورها أيضاً فى الأوساط التجارية ببلاد اليمن والحجاز، والأرجح أنه تم التعامل بها أيضاً فى بلاد السراة، وهذه العملة هى الذهب المصرى، والذي عُرف أيضاً باسم الدينار المصرى (٢٠٦)، أو الدينار الأحمر (٢٠٧)، وقد أشار إلى هذه العملة المؤرخ ابن المجاور والذي حدد استخدامها فى هذه المناطق وأشار إلى سعر صرفها مقارنة بالدينار السائد فى اليمن ويعرف بالدينار الملكى (٢٠٨).

كما راجت فى أسواق المنطقة موضوع الدراسة الدراهم الفضية وكانت تعرف بالدراهم العباسية (٢٠٩)، وقد ظلت سائدة فى أسواق السراة واليمن، حتى بدايات (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) عندما أقدم الأئمة الزيدية على ضرب عملة فضية بأسماهم فى صعدة، ولكنها لم تنتشر انتشار الدراهم العباسية لنقص أوزانها عنها من ناحية، وتطرق الزُغَل «التزييف» إليها (٢١٠). ومع قلة الواصل من معدن الذهب إلى أسواق الشرق الأدنى والساحل الشرقى للبحر الأحمر بصفة خاصة مع تزايد أخطار الحركة الصليبية، بدأ الناس فى الاعتماد على الفضة واستخدامها بشكل رئيس فى ضرب العملة، وبدأ النظام النقدى يعتمد على ما يضرب من دراهم كعملة أساسية، وتحول الذهب إلى مجرد وسيلة لتقدير القيمة المدفوعة من القطع الفضية.

ج- الدفع بالأجل :

وهى إحدى طرق ثلاث عُرفت فى أوجه التعامل بعد الدفع نقداً عند إتمام الصفقة التجارية بين البائع والمشتري، وبعد الصكوك أو الحولات، ثم البيع والدفع بالأجل، فكان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيع ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع من عملية البيع طالما لا يستطيع الدفع نقداً، وأحياناً يقوم هؤلاء الباعة الصغار بدفع ما عليهم من ديون لتجار الجملة تقيساً ويحدد يوم معين من أيام الأسبوع يتم الاتفاق عليه بين الطرفين موعداً للسداد وقد شاعت هذه الطريقة فى شبه الجزيرة العربية عامة وفى بلاد اليمن خاصة فى بيع صفقات التمور، ولانستبعد تعامل أهل السراة وتهامه بها فى ضوء انتشار هذه الطريقة فى شتى مناحى الديار الإسلامية (٢١١).

د- الموازين والمكايل والمقاييس :

اختلفت المكايل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامي، كما كانت تختلف أيضاً في القطر الواحد من مدينة إلى أخرى، كما يظهر هذا الاختلاف أيضاً من عصر إلى عصر (٢١٢).

ويبدو واضحاً اختلاف وحدة الموازين والمكايل والقياس من سلعة إلى أخرى باختلاف نوعية السلعة من حيث السيولة والصلابة ، فوحدة المكيال تعرف في السلع السائلة باسم الوعاء الذي يحتويها فالسمن على سبيل المثال يباع بالجمنة وهي تساوي خمسة أمانان (٢١٣)، كذلك كان الشيرج «السليط» يباع بالجرة أو بالمن ، والجمنة والجرة هما اللذان يحفظ بهما السمن والشيرج «السليط أو الزيت» لسيولتهما (٢١٤).

١- الموازين :

أما عن وحدات الوزن المعروفة في شبه الجزيرة العربية، ومنها الحجاز واليمن وبلاد تهامة والسراة فأولها المن. وهو وحدة الميزان الرئيس في هذه المناطق ، ويطلق عليه أحياناً مسمى «رطل» وكان الرطل المكى يساوى مائتى درهم (٢١٥). وكانت معظم السلع التجارية وفي مقدمتها العطور والحلويات والعسل، وكذا الثياب الحريرية تباع في بلاد تهامة والسراة بالرطل أو المن (٢١٦).

وجدير بالذكر أن عيار المن أو الرطل يختلف باختلاف نوعية السلعة الموزون بها، وبالتالي يختلف عياره عن المن أو الرطل الرسمى السابق. فكان المن أو الرطل المستخدم في وزن اللحم والشحم والهريس (٢١٧)، والمجنبة يعادل ٤٠٠ درهم (٢١٨)، فيكون وزنه بالجرامات حوالى (٢٥٠ جم) وهو بذلك يساوى ما كان معروفاً في القطر المصرى حتى وقت قريب بالأوقية (٢١٩). بينما يبلغ عياره - كما سبق القول- فى وزن السمن ثمانمائة درهم، كذلك يستخدم هذا العيار للمن فى بيع الزيت والخل (٢٢٠). فيصبح مساوياً لـ (٢ - ٣) كيلو جراماً. ولايزال حتى عصرنا الحالى يتم التعامل بالأرطال فى بعض أجزاء تهامة والسراة عند بيع بعض الحاجيات كرطل المسك والعنبر والبخور (٢٢١).

كما لايزال يستخدم حتى الآن عدة أنواع أخرى من الأرطال يختلف وزنها باختلاف البلد المنسوب إليه من بلاد تهامة والسراة، مثل الرطل الحجرى ، والنبرى ، والبارقى وغيرها، كما

استخدم فى الموازين أيضاً الدينار ، والدرهم ، والدانق (٢٢٢) والقيراط (٢٢٣) ومن الثابت عند اختلاف عيار النقد كان يتم التعامل بالنقد وزناً لاعداداً (٢٢٤) فكان وزن الدرهم ستة دوانق ، وكل عشرة دراهم تساوى سبعة مثاقيل (٢٢٥) ، والدانق يساوى قيراطين ونصفاً (٢٢٦).

- الأوقية : وحددها ابن المجاور بحوالى ($\frac{3}{21}$) درهم وبحساب الدرهم (١٢٥، ٣ جم) يكون وزن الأوقية فى (القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) بلغ ٧٠٨، ٠٦٧ جم، بينما ذكر هنتس أن وزنها فى شبه جزيرة العرب فى صدر الإسلام كان حوالى (٤٠) درهماً أى (١٢٥ جم) (٢٢٧).

- البيعة : وتعتمد كوحدة وزن لبيع الأديم وقدرها ابن المجاور بمائة من، وذكر أن حمل الجمل يبلغ بيعتين ونصفاً ومن ثم يتراوح وزن البيعة الواحدة طبقاً لوزن المن ما بين ($\frac{1}{4}$ - ٨١) كيلو جراماً ، أو (١٠٠) كيلو (٢٢٨).

٢- المكاييل : تعددت أنواع وأسماء المكاييل التى استخدمها أهل تهامة والسراة فى التعامل مع الحبوب والغلال والتمور وما شابهها فكان هناك:

أ- المد : اختلف الفقهاء فى تقديره ، ولذا اختلف من منطقة إلى أخرى فى العالم الإسلامى، ففي بلاد تهامة والسراة ، حيث كان يستخدم كوحدة للتمور والغلال وسائر الأطعمة فيبلغ وزنه خمسة أرتال وثلثاً أو ما يعادل رُبع الصاع (٢٢٩).

ب- الصاع : ويستخدم فى بيع الحنطة وسائر الحبوب فى بلاد تهامة والسراة، أو تلك المجاورة إلى أسواق الحجاز ، ويقدره ابن المجاور بأربعة أمداد. كما استخدم الفرق فى الكيل، وهو يعادل ثلاثة صيعان (٢٣٠).

ويلاحظ أن المكاييل شأنها شأن النقود، كانت تتعرض أحياناً لحالات الغش والتطفيف ، لاسيما عند أرباب السفن فى الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، يؤكد ذلك المقدسى بقوله «ولهم بالمرائب صاعان يعطون بأحدهما (وهو الأصغر) جرايات الملاحين، ويتعاملون بالكبير» (٢٣١).

٣- المقاييس : وكانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدمة فى أسواق تهامة والسراة

هى:

- الذراع (٢٣٢) : ويختلف طوله حسب الزمان والمكان، وينقص فى المواسم ويعود إلى ما

كان عليه قبل الموسم، وهو عدة أنواع منها الذراع اليدوي، والذراع الحديدي، أما ذراع اليد فيستخدم كوحدة قياس فى بيع وشراء الأقمشة كالبرود وشقق الحرير وغيرها ويتراوح طول ذراع اليد ما بين (٥٤، ٤٨سم) إلى (٣، ٥٠سم) (٢٣٣).

أما الذراع الحديد، فكان يستخدم فى قياس وبيع ألواح الساج، وأيضاً بعض الأقمشة كالبز وغيرها وطوله حوالى (١٨٧، ٥٨سم) (٢٣٤) ويضاف إلى هذه الأنواع من الأذرع ذراع خاص بقياس الأراضى وتقدير مساحتها عُرف بالذراع الشرعى أو ذراع المساحة، وكان يبلغ طوله حوالى (٨٧٥، ٤٩سم) (٢٣٥).

كما عُرفت مقاييس وأطوال أخرى مثل قدم الإنسان وخطوته، وشبر الكف، والباع (٢٣٦). وعُرف أيضاً الميل عند أهل تهامة والسراة، وذلك من خلال ما ذكره الهمدانى عند تقديره لمسافات الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز عبر أراضى السراة، فقدرها بالأميال (٢٣٧).

١١- معوقات التجارة :

رغم هذا النشاط التجارى الذى شاهده بلاد تهامة والسراة، فانه نشاط قد تأثر سلباً ببعض المعوقات، والملاحظ أن هذه المعوقات لم تلق بظلالها على التجارة فقط، بل أيضاً على جوانب أخرى من الأنشطة البشرية فى هذه المنطقة، ولعل أهم هذه المعوقات هى:

أ- الأمراض والأوبئة التى كانت تفتك أحياناً بأهل البلاد، فتهلك منهم أعداداً كبيرة، فتتأثر القوى البشرية المنتجة فى المنطقة، ومن ثم تتأثر حركة الأنشطة البشرية فى مجتمع تهامة والسراة، ونجد بعض المصادر تشير إلى هذه الأوبئة وتأثيرها الضار على النشاط السكانى، مثل: ابن كثير، حيث يذكر فى حوادث (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) فيقول: «وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثمانى عشرة لم يبق فيها ديار ولانا فخر نار» (٢٣٨)، ويذكر ابن فهد فى أحداث عام (٨٣٤هـ / ١٤٣٠هـ) أنه «وقع بالطائف، ووج، وليه، وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لا يحصيه إلا الله، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لأمالك لها، واستولى عليها سواهم، وامتد هذا الوباء إلى نخلة ولله عاقبة الأمور» (٢٣٩).

ومن أهم الأوبئة التى هاجمت منطقة تهامة والسراة: الطاعون، والجدرى، والحمى وغيرها من الأمراض الفتاكة، ومن أهم المصادر التى أشارت إلى انتشار مرض الحمى والجدرى وغيرها

فى بلاد تهامة ، المؤرخ عبدالله بن على النعمان الضمدى فيذكر عام (٩٥١هـ / ١٥٤٤م) أنه «حصل على المسلمين الوباء العظيم ، والأمراض بالحمى المطبقة بمدينة أبى عريش ، وصيبا ، وضمد ... وكافة المخلاف السليماني كان ابتداءه فى شهر رمضان ، واستمر نحو سبعة أشهر ، انتقل بسببه عالم كثيرون ، وعلماء أخيار ، وسادة أخيار ... وأشرف أجلاء كبار فله الأمر من قبل ومن بعد ، قيل وإن الذين فقدوا من أعيان وادى جازان ... مدة الوباء ألف ومائتا نفس»^(٢٤٠) ويذكر أيضاً أنه فى عام (١٠٥٩-١٠٦٠هـ / ١٦٤٩-١٦٥٠م) ظهر بالناس ببلاد تهامة والسرارة وغيرها مرض الجدري فقضى على خلق كثير^(٢٤١).

وإذا كانت هذه الأمراض ، من أهم معوقات الحضارة فى مجتمع تهامة والسرارة ، بسبب فقدان أهم قوة مؤثرة فى خلق هذه الحضارة ، وهى القوة البشرية ، فإن هذه الأمراض قد أضرت أيضاً بمتلكات سكان هذه المنطقة ، وخاصة بحيواناتهم مثل : الجمال ، والأبقار ، والحمير والبغال وغيرها ، فتأثر اقتصاد الأسرة والمجتمع كله ، وتؤكد الروايات أنه كان من أصعب الأمراض منذ القدم هناك ، هو مرض الجدري ، والحميات ، فكان كثير من الناس بل أسر كاملة تموت دون أن تجد المساعدة ، أو الرعاية الطبية لمحاربة تلك الأمراض^(٢٤٢).

ب- تعرض البلاد لموجات من الجفاف ، والقحط والغلاء فيذكر أيضاً عبدالله الضمدى أثناء حديثه عن بعض أجزاء من تهامة فيقول : «حصل فيها غلاء عظيم عن السهل والجبل ، لاسيما المخلاف السليماني كان ابتداءه فى سنة (٩٧٢هـ / ١٥٦٤م) وامتد إلى سنة (٩٧٨هـ / ١٥٧٠م) حتى كادت عقود شعائر الإسلام أن تتخرم وأجلت الناس عن أوطانها ... وخرجت المخدرات من بنات الناس سائرات فى الأسواق ، ويقلون الدم ويأكلونه ، وانقطعت السبل والقوافل ... وتعطلت من الأيادى المأكولات والنفائس والأموال ...»^(٢٤٣). ويذكر أيضاً فى عام ٩٧٩هـ / ١٥٧١م أنه «وقع القحط والغلاء فى أرض الحجاز ، وانقطعت المأكولات فى الأسواق وهلك الدواب»^(٢٤٤) ، ويذكر أنه فى عام (١٠٤٦هـ / ١٦٣٦م) «وقعت مجاعة فى وادى ضمد ذهب ضحيتها ألفان من أهل بلدة الشقىرى»^(٢٤٥) ، وفى عام (١٠٦٣هـ / ١٦٥٢م) «اشتد الغلاء على الناس فى الحبوب ، والسمن ، والألبان ، والعسل»^(٢٤٦) وفى سنة (١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م) «تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجذب والقحط فى صيبا والتهائم ونواحيها ... وكذلك أهل الحجاز الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها ، وغالب أهل القرى والبادية جاؤوا إلى مكة هارين وإلى رب البيت ملتجئين

وخاضعين ، وهم يصيحون ، الجوع الجوع ، ويتضرعون وفى الطريق يتصرعون (٢٤٧) ، ويذكر أنه فى صفر عام (١١٧١هـ / ١٧٥٧م) ابتدأ ترفع الأسعار وشمل ذلك أكثر النواحي والأقطار .. وكان ينقل الطعام من أرض اليمن كزبيد ونواحيها ، ولم يزل الترفع فى ازدياد حتى بلغ حمل الجمل أربعين قرشاً ... ومات عالم كثير بالجوع والمرض وهلك الأنعام» (٢٤٨).

ج- صعوبة تضاريس بلاد السراة، وارتفاع درجة الحرارة فى أرض تهامة، كل هذا عاق حركة الإنتاج ، فصعوبة التضاريس يعرقل حركة النقل والمواصلات ، وارتفاع درجة الحرارة ينشر الأمراض، ويقلل من حجم الإنتاج (٢٤٩).

د- انتشار القبائل فى مناطق وعرة، ويُعد هذه القبائل عن المركز السياسى للخلافة الإسلامية، فنشبت الصراعات والحروب القبلية على حدود الأراضى والأودية بسبب النزاع على ملكية الأراضى أحياناً، وبسبب التعدى على حقوق الجيران ، وبسبب انتشار ظاهرة الأخذ بالثأر أحياناً أخرى ، فانشغل أهل هذه القبائل عن أعمالهم، ومنها العمل التجارى، كما تخوف تجار المناطق البعيدة من الحضور إلى مناطق المنازعات خوفاً على حياتهم وعلى تجارتهم بسبب غياب الأمن فى هذه المناطق فى بعض الأحيان . وتؤكد بعض الروايات التى ترجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) هذه النزاعات أو تذكر تفاصيل هذه الاشتباكات التى كانت تقلق مضاجع الناس، وتشل حركتهم فى شتى المجالات (٢٥٠).

هـ- معاناة التجار والحجاج للجوع والعطش أثناء رحلاتهم ذهاباً وإياباً ما بين الحجاز وبلادهم ، مما أدى إلى موت الكثير منهم، فتذكر بعض المصادر أنه فى عام (٧٨٢هـ / ١٣٨٢م) قد أصاب حجاج اليمن عطش شديد هلك على أثره حوالى ألف نسمة (٢٥١)، وفى عام (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) يذكر ابن حجر أنه أصاب الحجاج فى طريقهم إلى مكة المكرمة ، فى ذلك الموسم ، عطش أودى بحياة الكثير منهم (٢٥٢)، ويذكر ابن فهد أنه فى سنة (٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) قد وقع على حجاج البحر من أهل اليمن أمر عظيم ، وهو أنهم لما وصلوا بلدة على طريق الليث خالف عليهم الريح، فخرجوا إلى البر فضاع بهم الدليل عن الماء، فمات منهم خلق كثير (٢٥٣).

و- تهديد قطاع الطرق واللصوص لطرق التجارة والحج، وتهدد أمن طرق التجار والحجاج من بلادهم إلى بلاد الحجاز. فقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات غزيرة عن جرائم قطاع الطرق، والاعتداءات التى كانوا يقومون بها على الحجاج والتجار فيقتلونهم ، ويأخذون

أموالهم. وغالبًا ما كان أفراد من بعض القبائل والعشائر الواقعة على الطريق هم الذين يقومون بهذه الأعمال . وفقدان الأمن في البلاد، ثم الجوع والحاجة هما من الأسباب الرئيسة التي دفعت هذه القبائل إلى الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار ونهب أموالهم . ويذكر ابن المجاور ، خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وضع السكان في إحدى الأجزاء التهامية وقطعهم طريق الحج والتجارة ، فيقول : « ... لم يكن في جميع العالم أضل من هؤلاء القوم ، ولا أسرف ، ولا أكرم ، ولا أخسر منهم في أخذ مال الحاج ، لأنهم يسمون الحاج جفنة الله ، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون - إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منها الصادر والوارد ، وإذا قلت لأحدهم : قطع الله رزقك من الحرام ، يقول - لا بل قطع الله رزقك من الحلال ، ما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ، ولا أخذ ولا عطاء ، وجميع ما تعلمونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح والغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقصى للحاج منكم الحق وثلث الباطل » (٢٥٤).

الخاتمة

ومن هذا العرض نخلص إلى القول بأن بلاد تهامة والسراة قد تمتعت بنشاط تجارى زاهر خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه، ساعد على ذلك ما حظيت به تلك الأراضى من بعض المقومات الرئيسة المساعدة على قيام نشاط تجارى متعدد ومتنوع ، حيث توفرت طرق المواصلات التجارية، كما تعددت بها المراكز الحضارية التى تحتوى على أسواق عديدة زاخرة بحركة البيع والشراء للكثير من السلع المحلية، أو تلك التى كان تجار السروات يهتمون بالحصول عليها من المناطق والبلدان المجاورة ، حيث تجد لها سوقاً نافقة ببلاد تهامة والسراة وبخاصة السلع الشرقية الواردة من الشرق الأقصى عن طريق بلاد اليمن الأمر الذى أدى إلى تنشيط حركة التبادل التجارى فى المنطقة.

ونلاحظ أنه على الرغم من وجود بعض معوقات التجارة- كما أسلفنا القول- فإنها لم تفت فى عضد النشاط التجارى على أرض تهامة والسراة بل ظل أهلها عبر حقب التاريخ المختلفة يقومون بدور إيجابى ملموس فى تنشيط الحركة التجارية بخاصة والحياة الاقتصادية بعامة فى شتى أنحاء شبه جزيرة العرب.

* * *

وبعد، فنحن من خلال هذا البحث لاندعى استكمال كل ما يتعلق بالتجارة والتجار فى بلاد تهامة والسراة. وإنما اكتفينا بذكر بعض الملامح الهامة لهذا الجانب الهام من جوانب التاريخ الحضارى للبلاد الواقعة فى جنوب المملكة السعودية فى العصور الإسلامية المبكرة والوسيطه- فتعرفنا على العوامل والأسباب التى أدت إلى ازدهار الدور التجارى لهذه المناطق- داخلياً وخارجياً فأبرزت ما لقيته التجارة من اهتمام الولاة والحكام حرصاً على توفير السلع اللازمة لمواطنى السروات، عن طريق الاهتمام باصلاح الطرق التجارية وإقامة المحطات لراحة التجار والمسافرين، كما أوضحنا من خلال هذا العرض كيف غمرت شتى المراكز الحضارية بالمنطقة بالعديد من أصناف السلع سواء المنتجة محلياً أو الواردة من بلدان الشرق على اختلافها، والتى قامت على تصريفها مجموعة من الأسواق المتنوعة ما بين أسبوعية ويومية ودائمة ومتخصصة . كذلك أشرنا إلى العامل الجغرافى وكيف كان له أبلغ الأثر فى تبوء هذه المناطق مكانة متميزة فى المجال التجارى ، واختتمنا هذه الدراسة بإبراز عدد من

الحقائق تتصل بنظم المعاملات التجارية السائدة فى أسواقها ، فأوضحت معرفة بلاد تهامة والسرعة للتعامل النقدي وبينت أنواع العملة المتداولة فى أسواقها ، وشيوع الاعتماد على النقد الفضى نظراً للتدهور الذى أصاب النقد الذهبى ، كما أبرزت وسائل التعامل الأخرى التى شاعت فى أسواق السروات ومنها المقايضة والبيع بالأجل وغير ذلك .

واختتمت الدراسة بعرض موجز لمجموعة من المكايل والموازين والمقاييس المستخدمة فى بلاد تهامة والسرعة وأبرزت أن منها بعض الوحدات اشتركت فى استعمالها مع مثيلاتها من بلدان الشرق ، وأوضحت كيف أن هذه الوحدات كانت عيارتها تختلف باختلاف المدن من ناحية ، ونوعية السلع المباعة بهذه الوحدات من ناحية أخرى . كذلك أثبت معرفة بلاد تهامة والسرعة لنظام الحسبة والمحتسب شأنها فى ذلك شأن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى .

الهوامش

- ١- انظر جمال الدين محمد بن منظور . لسان العرب . نسقه وعلق عليه على شيرى (بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ج. ٦٠-٦١ (مادة: تهم) : إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (معلومات النشر بدون، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ج٥ ، ص١٨٧٨ (مادة: تهم) ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموى . معجم البلدان (بيروت : دار صادر (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ج٢ (مادة : تهامة) ص٦٣ وما بعدها.
- ٢- محمد بن حبيب (البغدادى). كتاب المنق فى أخبار قریش . صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص٥٢ وما بعدها، لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانى. صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد ابن على الأكرع (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص١٨١ وما بعدها : أبومعين الدين ناصر خسرو. سفر نامه (رحلة ناصر خسرو) ترجمه عن الفارسية وحققه. أحمد خالد البدلى (جامعة الملك سعود): عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٣م) ص١٤١ وما بعدها ، جمال الدين يوسف بن المجاور. صفة بلاد اليمن، ومكة ، وبعض الحجاز . المسمى تاريخ المستبصر. تحقيق أوسكر لوفجرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م) ج١ ، ص١٧ وما بعدها.
- ٣- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب، ص٦٥ ، ٦٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٣٤١ . محمد بن أحمد العقيلي. المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان، منشورات نادى جازان الأدبى (القاهرة : مطابع نهضة مصر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص٢١٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ : أحمد ابن عمر الزيلعى . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليمانى) فى العصور الإسلامى الوسيطة (الرياض : الفرزدق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٧٥ وما بعدها ، عبدالله محمد أبر داهش . أهل تهامة : المخلاف السليمانى وحلى بن يعقوب وأحوازاها فى القرون الإسلامىة الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ / ١٠٠٩-١٧٨٥م) (الرياض : مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ص٢٤ وما بعدها .
- ٤- المصادر نفسها، كما انظر : عاتق بن عيث البلادى . بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص٢٨ وما بعدها ، أيضاً الباحث له خبرة بهذه المواطن كونه زارها وتجول فى أرجائها مرات عديدة وفى أوقات مختلفة على مدار عشرين عاماً (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .
- ٥- انظر، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٢ (مادة : حجاز) ص٢١٩ : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى . آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص٨٤-٩٠ . صالح أحمد العلى. «تحديد الحجاز عند المتقدمين» مجلة العرب (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ج١.

ص ١-٩: عبدالله الرهيبى . «الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب» مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً) ج١ (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ص ٥٣ وما بعدها .

٦- المصادر نفسها ، أيضاً أنظر غيثان بن على بن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوئل» ، مجلة المؤرخ العربى العدد الثانى ، المجلد الأول (مارس / ١٩٩٤م) ص ٧٢ وما بعدها .

٧- لمزيد من التفصيلات عن هذه السروات انظر، الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٩ وما بعدها، عاتق البلادى. بين مكة وحضرموت ، ص ١٤ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس . «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى «مجلة الدارة. عدد (٣) سنة ١٩ (ربيع الآخر والجماديان/ ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ٧٦ وما بعدها .

٨- المصادر نفسها.

٩- المصادر نفسها، بالإضافة إلى كتاب، عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية ، المملكة العربية السعودية . (إقليم جنوب غرب المملكة) (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ١٣٣ وما بعدها .

١٠- المصادر نفسها التى وردت فى حاشيتى (٩،٨) .

١١- عبد الرحمن صادق الشريف ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ وما بعدها ، صالح بن على ابن عبد الرحمن الشمرانى «أشكال المدرجات الزراعية ، وتوزيعها المكاني، وأهميتها فى إقليم السراة جنوب غربى المملكة العربية السعودية» ثم نشر هذا البحث ضمن سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى، جامعة أم القرى (مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ص ٢٣ : غيثان بن على بن جريس. عسير : دراسة تاريخية فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ / ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص ١٩ وما بعدها .

١٢- المصادر نفسها .

١٣- محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ج١ ، ص ٦٧ وما بعدها ، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. اليمن فى صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص ٤٩ وما بعدها ، غيثان بن جريس «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى» ، ص ٧٨ وما بعدها .

١٤- انظر : أبو عبدالله عمر الواقدي. فتوح الشام (بيروت : دار الجيل : د.ت ، ج١ ص ٥ وما بعدها :

محمد بن عبدالله الأزدى . تاريخ فتوح الشام . تحقيق عبد المنعم عبدالله عامر (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ١٢٨ وما بعدها ، أبو محمد أحمد بن أعثم . كتاب الفتوح ، مصر من طبعة حيدر آباد بالهند (بيروت : دار الندوة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ج ١ ص ١٠٤ ، ١١٤ وما بعدها : نزار عبد اللطيف الحديشى . أهل اليمن فى صدر الإسلام (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ص ١٢٥ وما بعدها ، عبد الرحمن الشجاع . اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٩٣ وما بعدها .

١٥- لمزيد من التفصيلات عن مراسلات الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده، انظر . ابن حبيب . كتاب المنق ، ص ١٩٩-٢١١ ، جمال الدين ابن الجوزى . صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخورى ومحمد رواس قلجعى (حلب : دار الوعى ، محمد بن جرير الطبرى . تاريخ الأمم والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) ج ٣ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية . زاد المعاد فى هدى خير العباد . تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ج ٣ ، ص ٦٢٠ وما بعدها : محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ٢٤١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ وما بعدها .

١٦- انظر : جميع المصادر الواردة فى حاشيتى (١٥، ١٤) ، كما انظر عبد الواحد محمد راغب دلال . البيان فى تاريخ جازان وعسير ونجران (القاهرة : مطابع دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ، ص ٢٥٤ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس «تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى» «مجلة العصور . مج (٩) ج (١) (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص ٦٣ وما بعدها .

١٧- لمزيد من التفصيلات عن اهتمامات خلفاء بنى أمية والخلفاء الأول من بنى العباس ببلاد تهامة والسراة . وارسال الولاة إلى الحجاز ، والذين هم بدورهم يدون إصلاحاتهم وأعمالهم إلى هذه البلاد موضوع الدراسة، انظر : محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدى الصالح ملحق (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ج ١ ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ : عبد الرحمن الشجاع . اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٩٣ وما بعدها .

١٨- المصادر نفسها، كما انظر عبد الواحد دلال . البيان ، ص ٢٥٠ ، وما بعدها ، كما انظر أيضاً : عصام الدين عبد الرؤوف الفقى . اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول (القاهرة: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص ٢١٩ وما بعدها .

١٩- انظر المصادر التى وردت فى حاشيتى (١٧، ١٨) ، كما انظر: ابن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة ...» ص ٧٨ وما بعدها : عبدالله أبو داهش . أهل تهامة ، ص ١٠٨ وما بعدها ،

وللمؤلف نفسه انظر : أهل السراة فى القرون الإسلامية الوسيطة (معلومات النشر غير مذكورة) (١٤١٧هـ) ، ص ٥١ وما بعدها .

٢٠- انظر : أهرالفرج الأصفهانى. كتاب الأغانى (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة، عن طبعة دار الكتب المصرية، د.ت) ج١٣ ، ص ٦٤ وما بعدها؛ محمد بن سلام الحجى . طبقات فحول الشعراء . قراءة وشرح محمود شاكر (القاهرة : مطبعة المدنى . د.ت) ج٢ ، ص ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦٢٥ . وعن المعادن ومواطنها وأهميتها فى شبه الجزيرة العربية وخاصة فى بلاد تهامة والسراة وكذلك أرض اليمن ، انظر: الحسن بن أحمد الهمدانى. كتاب الجوهريين العتيقتين المانعتين من الصفراء والبيضاء (السويد: ايسالا ، ١٩٦٨م) ، ص ١٣٧ وما بعدها .

٢١- انظر معلومات أكثر فى المصادر والمراجع الواردة فى الحواشى الآتفة الذكر (١٨ ، ١٩ ، ٢٠). وعن الحسبه وما يقوم به المحتسب من أعمال ، انظر : يحيى بن عمر. كتاب النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق (تونس ، د.ت / ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ص ٦٥ وما بعدها ، ضياء الدين محمد بن الأخوة. كتاب معالم القرية فى أحكام الحسبة. تحقيق محمد شعبان (القاهرة ، د.ت / ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦) ص ٧٧ وما بعدها .

٢٢- المصادر نفسها .

٢٣- انظر : أحمد بن عبدالله القلقشندى. مآثر الأتافة فى معالم الخلافة . تحقيق عبد الستار أحمد فرج (مطبعة الكويت، طبعة مصورة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ج١ ، ص ١٨٦؛ تقى الدين المقرزى. الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك. تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة، د.ت، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ص ٤٥ ، أحمد العلى «طرق المواصلات فى الحجاز» مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ج١١ ، سنة (٢) ، ص ٩٧٥ وما بعدها ، حسين على المسرى «نجران ودورها السياسى والاقتصادى» مجلة المؤرخ المصرى (جامعة القاهرة : كلية الآداب ، العدد (٩) يوليو (١٩٩٢) ، ص ٧٧-٨٢ وما بعدها .

٢٤- انظر: أهرالفرج قدامة : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة. ملحق بكتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك . تحقيق أم . دى غوى (لیدن : مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ، ص ١٨٨-١٨٩ ، ابن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون ...» ص ٧٤ وما بعدها .

٢٥- انظر معلومات أكثر عن الخيزران عند شمس الدين أبو العباس ابن حلكان. وفيات الأعيان (بيروت، دار صادر (١٣٩٧هـ / ١٩٦٧م) ، ج١ ، ص ٢٧٣ ، ٤٢٧ ، ج٢ ، ص ٣٢٦ ، ٣٨٩ ، ج٤ ، ص ٢٢٧ ، ٢٧٧ .

٢٦- انظر : القلقشندى، مآثر الأتافة ، ج١، ص٨٦ ، حسين المسرى «نجران ودورها السياسى...» ص٨٣ وما بعدها .

٢٧- انظر الأزرقى «أخبار مكة ، ج٢، ص٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، قدامة ، كتاب الخراج ، ص١٨٨ ، المقرئى ، الذهب المبيوك، ص٤٥ وما بعدها ، حسين المسرى «نجران ودورها السياسى...» ، ص٨٤ وما بعدها .

٢٨- المصادر نفسها .

٢٩- ناصر خسرو، سفر نامه، ص١٤١-١٤٢ .

٣٠- ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٣٧ .

٣١- وقد لمس الباحث سيطرة القبيلة وسطوتها من خلال رصد لتاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المتأخرة الماضية، كما أيضاً وجد ذلك واضحاً من خلال استقراؤه للعديد من الوثائق السياسية والحضارية فى الثلاثة القرون الماضية. وللمزيد من التفصيلات انظر : غيثان بن على بن جريس . بلاد بنى شهر وبنى عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (ابها : مطابع مازن، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص١٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ج١، ص١٥ وما بعدها .

٣٢- انظر : أحمد السباعى. تاريخ مكة (دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران) (مكرمة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ط٤، ج١ ص١٤٨ وما بعدها ، كما انظر: عبدالله أبوداهش. أهل السراة ، ص٢٩ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه. أهل تهامة، ص٤٥ وما بعدها . (وعن تاريخ مكة المكرمة فى العصور الوسطى، وكيف كان وضع طبقات الأشراف بها، سياسياً وحضارياً) انظر ، تقى الدين محمد محمد بن أحمد الفاسى. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت، معلومات النشر غير مذكورة) جزءان.

٣٣- وعن موقع بلاد تهامة والسراة، وأهميتها الحضارية ، وصلاتها مع جيرانها من أهل اليمن والحجاز، انظر ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب، ص٩٩ وما بعدها ، جواد على. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم، بغداد : مكتبة النهضة، ١٩٧٨م) ط٢، ج٧ ، ص٩٧ وما بعدها .

٣٤- انظر: سورة قريش فى القرآن الكريم وتفسيرها فى تفسير القرآن الكريم لابن كثير (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ج٤ ، ص٥٩٢ .

٣٥- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب، ص٩٩ وما بعدها، جواد على، المفصل ، ج٧ ، ص١٠١ وما بعدها.

Patricia Crone . Meccan Trade, and the Rise of Islam. (Oxford, 1987) pp. 12 ff.

٣٦- المصادر نفسها. وعن جغرافية بلاد تهامة والسراة، انظر : عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة ، ج٢ ، ص ٣٣ .

٣٧- جواد على ، المفضل ، ج٧ ، ص ٣١٧ . أيضاً يروى لنا بعض المسنين فى جنوب المملكة العربية السعودية عن معاناتهم فى الماضى ، وأن الدواب مثل: الجمال ، والحمير كانت الوسيلة الرئيسة فى نقل بضائعهم وحوائجهم المختلفة. كما أن الباحث شاهد نشاطات الناس فى هذه المناطق خلال الأربعين سنة الماضية كونه عاش معهم ومارس مع أهله العديد من الحرف والمهن المختلفة.

٣٨- المصادر نفسها.

٣٩- ويظهر أن هذه العقاب كانت مسلوكة خلال العصور الإسلامية الوسيطة، ولكن فى العصر الحديث تدخلت الآلات الحديثة فشقت الطرق الممهدة التى أصبحت تستخدم بالسيارات، وصارت شريان حيوى يربط الجبال السروية بالأراضى التهامية. ومن أهم تلك العقاب الممهدة اليوم ما يلى: عقبة بنى سعد جنوبى الطائف ، يليها عقبة غامد وزهران ، المعروفة بـ (المخوة) ، ثم عقبة الأبناء ، ثم عقبة بنى عمرو ، فعقبه تلّاع ، ثم عقبة سنان التى تنحدر من أرض النماص إلى بلاد خايط والمجاردة ، ثم عقبة ساقين ، وعلى مقربة من شمال أبها تأتى عقبة شعار ، أو (عقبة تبه) ، ثم عقبة ضلع المنحدرة من مدينة أبها إلى جازان، ثم عقبة الفرشه ببلاد قحطان، وغيرها من الممرات والعقاب الأخرى. مشاهدات الباحث وانطباعاته أثناء تجواله فى هذه البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران ، ولمرات عديدة.

٤٠- انظر سورة الفيل فى القرآن الكريم، وتفسيرها فى تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ٥٨٦، انظر : أيضاً الأزرقى ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٣٦ وما بعدها .

٤١- المصادر نفسها، جواد على ، المفضل ، ج٤ ، ص ١٥٨ وما بعدها .

٤٢- انظر مقالة حسين المسرى «نجران ودورها السياسى والاقتصادى ...» ، ص ٤٢ وما بعدها . انظر أيضاً : ابن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة...» ص ٧٥ وما بعدها .

٤٣- المراجع نفسها. كما أن الباحث تجول فى أنحاء عديدة من المناطق التى مر بها درب الفيل، وقابل البعض من المعمرين هناك، وسمع بعضهم يطلق اسم «درب الفيل» أو «درب أسعد» على أجزاء من تلك المراتب . وإنهى أحث أقسام الآثار العلمية فى جامعات المملكة أن تولي هذا الطريق وهذه الأجزاء بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب.

٤٤- نزار عبداللطيف الحديثى. أهل اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٣٧ وما بعدها، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٧٧ وما بعدها.

- ٤٥- أبر القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ، ص١٣٣ وما بعدها .
- ٤٦- قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨-١٨٩، ١٩٢-١٩٣ .
- ٤٧- أبو اسحاق الحري . كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
- ٤٨- أحمد بن اليعقوبى . كتاب البلدان . تحقيق أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٩٢م) ص٣١٦ وما بعدها .
- ٤٩- الهمداني . صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٩ وما بعدها .
- ٥٠- شمس الدين أبو عبدالله المقدسى . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . تحقيق أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٧م) ص١١١ وما بعدها .
- ٥١- محمد بن محمد الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ج١ ، ص١٤٥ وما بعدها .
- ٥٢- حسين المسرى «نجران ...» ص٧٧ وما بعدها ، عبد الواحد دلال . البيان ، ص٢٥٠ وما بعدها .
- ٥٣- الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٩ وما بعدها .
- ٥٤- المصدر نفسه ، ص٣٤٠ .
- ٥٥- المصدر نفسه ، ص٣٤١ .
- ٥٦- ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٣٤ وما بعدها .
- ٥٧- وطلحة الملك تقع اليوم فى الأجزاء الشرقية من طهران الجنوب فى بلاد قحطان ، إلى الشمال من مدينة نجران .
- ٥٨- قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨-١٨٩ .
- ٥٩- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج١ ، ص١٤٥ ، ١٤٦ .
- ٦٠- انظر عصام الفقى . اليمن فى ظل الإسلام ، ص٢٢٧ وما بعدها ، حسين المسرى «نجران ...» ، ص٨٢ وما بعدها ، جميل حرب ، محمود حسين . الحجاز واليمن فى العصر الأيوبي (جدة : دار تهامة للنشر . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص١١٧ وما بعدها .
- ٦١- جواد على . تاريخ المفضل ، ج٧ ، ص٢٨٥ ، حسين المسرى . «نجران ...» ص٨٢ وما بعدها .
- ٦٢- المراجع نفسها . ولزيد من التفصيلات عن مخلاق جرش (منطقة عسير الحالية) انظر : غيثان بن

على بن جريس « تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى » مجلة العصور (رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) مجلد (٩) الجزء الأول، ص ٦٣-٧٧ .

٦٣- انظر : محمد بن أحمد الحجري . مجموعة بلدان اليمن وقبائلها . تحقيق إسماعيل ابن علي الأكوع (بيروت : مطابع دار النفائس ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) مج ٢، ج ٣، ص ٦٠٤ . عبدالله أبو داهش . أهل السراة، ص ٥٤ .

٦٤- محمد بن سعيد بن عرض آل رداد الاسمرى . تاريخ رجال الحجر، المسمى: نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر . (جدة : مكتبة السوادي، ١٤١٧هـ)، ص ١٤٩، ١٧٢، ١٨٣ : عبدالله أبو داهش . أهل السراة، ص ٥٤-٥٥ .

٦٥- لمزيد من التفصيلات عن الجيوش العثمانية وكيف كانت تأتي عبر بلاد تهامة والسراة ما بين اليمن والحجاز ، انظر : شرف بن عبد المحسن البركاتي . الرحلة اليمنية . تحقيق عبدالله بن عبد الرحمن إلياس (بيروت : دار نشر تراث العرب، ١٣٨٦هـ) ، ص ٤٣ وما بعدها، غيثان بن جريس ، بلاد بنى شهر، ص ١١٥ وما بعدها .

٦٦- انظر: عبدالله بن علي العمودي . تحفة القاري . والسماع في اختصار تاريخ اللامع (مخطوط) ، ص ٢١ : نجم الدين عمارة بن علي اليمنى . تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزيد . تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي (بيروت : مطابع دار العلم، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ص ١٠٠ وما بعدها ، ويلاحظ أن هذا الطريق بدأ أهميته في التضاؤل تدريجياً مع قيام الدويلات المستقلة باليمن كالدولة الزيادية والدولة الصليحية وغيرها، حيث تحول حكام هذه الدويلات عن هذا الطريق إلى الطريق الساحلي عبر تهامة.. وساعد على هذا التحول العداء القائم بين الدولة الزيدية بصعدة وبين حكام الدويلات اليمنية في الوسط والجنوب، الأمر الذي عرقل سير القوافل إذا ما اتخذت طريقها عبر الجبال عند صعدة في طريقها عبر السراة إلى الحجاز، كما ساعد على هذا التحول.. قلة عناية الحكام بتعبيده منذ هذه الفترة مما زاد من وعورة مسالكه عبر الممرات الجبلية الضيقة التي كانت لا تسمح في بعض أجزائها إلا بمرور الواحد تلو الآخر مما أدى في النهاية إلى تقلص النشاط التجاري عبره وتحوله إلى طريق الساحل التهامي، انظر عصام الفقي . اليمن في ظل الإسلام، ص ٧٩ وما بعدها ، عبد الواحد دلال . البيان، ص ٢٥ وما بعدها .

٦٧- محمد بن أحمد الحجري - مجموعة بلدان اليمن، مج ٢، ج ٣، ص ٦٠٤ .

٦٨- المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ ، ناصر خسرو، سفر نامه، ١٤١-١٤٢، ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج ١، ص ٣٧ .

٦٩- مشاهدة ومعاصرة الباحث لهذه العلاقات ، إلى جانب حصوله على عشرات الوثائق الحديثة وهي
تعكس علاقة الأخلاف القبلية بين سكان أهل السراة مع بعضهم البعض ، وكذلك مع سكان أهل تهامة
مع أهل السراة.

٧٠- معاصرة الباحث للكثير من الجوانب الحضارية ببلاد تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الأخيرة.

٧١- انظر: البركاتى، الرحلة، ص٤٣ وما بعدها، ابن جريس، بلاد بنى شهر وبنى عمرو ، ص١١٥ وما
بعدها .

٧٢- عبور الباحث لأغلب هذه العقاب ، ومشاهدة بعض النقوش والرسم فى العديد من أجزائها مما يدل
على أنها كانت تستخدم بالتجار وأهل البلاد يوم أن كانت وسائل نقلهم الجمال والحمير فقط.

٧٣- انظر الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص٣٤١ وما بعدها .

٧٤- انظر : عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن، ص٧٦-٨١ ، كما انظر معلومات أكثر العمودى ، تحفة
القارئ ، ص٧٨-٨٢ ، عبد الرحمن بن على بن محمد الزبيدى، ابن الديبع . قرة العيون بأخبار اليمن
الميمون . تحقيق محمد على الأكرع (معلومات النشر بدون) ج١ ، ص٣٢٧-٣٣٠ .

٧٥- عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن، ص٧٧ وما بعدها .

٧٦- المصدر نفسه.

٧٧- الحبرى، كتاب المناسك، ص٦٤٦-٦٤٧ .

٧٨- انظر: أحمد بن عمر الزيلعى «المواقع الإسلامية المندثرة فى وادى حلى ق٣- ٩هـ / ٩-١٥م»
حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت (٣٩) الحولية (٧) (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص١١ ، ١٢ .

٧٩- محمد الحجرى . مجموعة بلدان اليمن، مج٢ ، ج٣ ، ص٦٠٤ . عبد الله أبو داهش ، أهل السراة،
ص٥٥، وللمؤلف نفسه. أهل تهامة، ص١٢٧ .

٨٠- عبدالله أبوداهش ، أهل تهامة ، ص١٢٨ ، انظر أيضاً «أرجوزه الحج» تحقيق أحمد الشامى . مجلة
العرب (ج٥ - ٦ / سنة ٢٩ / ذو القعدة والحجة / ١٤١٤هـ) ، ص٣٢٤ .

٨١- المراجع نفسها.

٨٢- الشقيق : البلدة المعروفة فى زماننا . انظر العقيلى ، تاريخ المخلاف السليمانى، ج١ ، ص٢١٦ .

٨٣- محمد أحمد العقيلى. من أدب جنوب الجزيرة (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/
١٩٩١م) ، ج١ ، ص١٩٩-٢٠٠ ، أبو داهش، أهل تهامة، ص١٢٨ .

٨٤- لمزيد من التفصيلات انظر : حسن إبراهيم الفقيه . مخلاف عشم (الرياض: مطابع الفرزدق ،

٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص ٢٠٢ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه. مدينة السرين الأثرية (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص ٩٣ وما بعدها. أحمد عمر الزيلعي الخلف والخليف ، آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض : مطابع الخالد ، ١٤١٧هـ) ، ص ٨٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه، نقوش إسلامية من حمّاد بن بواذى عليب (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ص ٣٩ وما بعدها ، عاتق البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ١١ وما بعدها .

٨٥- انظر : مورييس تاميزية . رحلة في بلاد العرب : الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م) ترجمة محمد بن عبدالله آل زلفة (الرياض : مطابع الشريف ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) . وللمزيد من التفصيلات انظر : غيثان بن علي بن جريس «إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين» بحث قدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) (القاهرة : منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

٨٦- انظر البركاتي ، الرحلة ، ص ٢١ وما بعدها ، وللمزيد من التفصيلات عن تاريخ مدينة أبها حاضرة منطقة عسير انظر . غيثان بن علي بن جريس. أبها حاضرة عسير (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، ص ١٥ وما بعدها .

٨٧- انظر البركاتي ، الرحلة ، ص ٢١ وما بعدها .

٨٨- وعن أهمية البحر الأحمر في مجال التجارة عبر العصور التاريخية ، وخاصة العهد الإسلامي المبكر والوسيط ، انظر العديد من الدراسات في كتاب: - البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية والمعاصرة . (القاهرة ، ١٩٨٠م) ، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة أبحاث علمية محكمة قدمت في سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس في الفترة الممتدة من (١٠-١٥ مارس / ١٩٧٩م) تحت إشراف الأستاذ الدكتور / أحمد عزت عبد الكريم.

٨٩- انظر ، عمر فاروق. «الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية» مجلة العرب (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ج ١ ص ٢١ وما بعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس. بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية. تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة ، ١٩٩٤م) ، ص ٦١ وما بعدها .

Umar Farug "Some Aspects of the Abbasid- Husanid Relations during the Early Abbasid Period 132-193 A. H/ 750-809 A.D" Arabica . vol XXII (1975) pp. 170-9 .

٩٠- انظر كتاب : البحر الأحمر الآن في الذكر في حاشية (٨٨) ، وخاصة الدراسات الواردة في هذا الكتاب والمتعلقة بالتاريخ الحديث.

٩١- انظر: حمد الجاسر . «حول الجار والشعبيه» مجلة العرب (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ج ١، ١٢ . ص ١١٧-١١٧٢ .

٩٢- لمزيد من التفصيلات عن القنفذة انظر : عاتق بن غيث البلادى . بين مكة واليمن ، رحلات ومشاهدات (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ص ١١٢-١٣٨ .

٩٣- عرام السلمى . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ص ٣٩٩ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ وما بعدها . ولمزيد من التفصيلات عن الطريق التجارى البحرى فى البحر الأحمر ، وأهمية الموانئ الواقعة على هذا البحر انظر:

Angelo Pesce. *Jiddah : Portrait of an Arabian City* (London, 1975) pp. 17 ff, Magbul Ahmad. " Commercial Relations of India with the Arab (1000 B. C. Up to Modern Times)" *Islamic Culture*. vol . XXX VIII (1946) pp. 141 ff .

٩٤- غيثان بن جريس . بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ج ١١ وما بعدها ، كما انظر للمؤلف نفسه «الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا فى العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجرى » بحث منشور فى كتاب: بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، الجزء الثانى ، للمؤلف نفسه ، (الاسكندرية: دار السماح، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ص ٣٧ وما بعدها .

٩٥- انظر المراجع الآتفة الذكر فى حاشية (٩٣) ، كما انظر معلومات أكثر عند السيد محمد يوسف «علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى» مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٥٣م) ١٥ ، ص ٢ وما بعدها . محمد إبراهيم زغروت «العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامى فيها خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين » مجلة الدارة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ج ١١، ص ١١٣ وما بعدها .

٩٦- انظر : حسن صالح شهاب . عدن فرضه اليمن (صنعا : مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ٧٩ وما بعدها ، ابوداهش . أهل تهامة ، ص ٢٣ وما بعدها ، ابن جريس «الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقية..» ص ٤٥ وما بعدها .

٩٧- الحسن بن أحمد عاكش . الديباج الحسروانى يذكر ملوك المخلاف السليماني (مخطوط) ورقة (٤) ، نزار الحديثى . أهل اليمن ، ص ٣٧ وما بعدها .

٩٨- الهمدانى . صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٨-٢٥٩ ، لقد شرح محمد العقيلي أغلب المواطن التى ذكرها الهمدانى . انظر : المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان ، ص ٧ ، ٨٤ ، ١٩٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .

٩٩- الهمدانى . صفة ، ص ٢٥٩ .

١٠٠- المصدر نفسه .

- ١٠١- اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣١٨ .
- ١٠٢- الهمدانى، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٤٢ .
- ١٠٣- يحيى بن الحسين، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ج ١ ، ص ٣٧٧ .
- ١٠٤- عاكش ، الديباج الحسروانى، ص ٩ ، أبو داهش، أهل تهامة، ص ٣٠ .
- ١٠٥- العقيلى، المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان، ص ٥٩ ، أبو داهش، أهل تهامة، ص ٣١ .
- ١٠٦- اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .
- ١٠٧- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ ، ٢٥٩ ، ٣٨١ .
- ١٠٨- اليعقوبى، البلدان ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، ص ٦٥ ، ٦٦ .
- ١٠٩- محمد الحجرى، مجموعة بلدان اليمن، مج ١ ، ج ١ ص ١١٧ ، ياقوت الحموى. معجم البلدان، ج ١ ، ص ٣٣٩-٤٠٠ .
- ١١٠- يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ج ١ ، ص ٤٣٣ ، عبد الرحمن (ابن الديبع) ، الفضل المزيّد على بغية المستفيد فى أخبار زيد . تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت ، د.ن ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص ٨٢ ، ٨٣ .
- ١١١- الهمدانى، صفة ، ص ٣٤١ .
- ١١٢- الأزرقى، أخبار مكة، ج ١ ، ص ١٩١ .
- ١١٣- المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ .
- ١١٤- حسن الفقيه ، مدينة السرين، ص ٥٩ ، ٦٠ .
- ١١٥- نجم الدين عمر بن فهد. اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق فهيم شلتوت (معلومات النشر بدون)، ج ٣ ، ص ٦٩ ؛ عبدالله أبو داهش. أهل تهامة، ص ٣٧ .
- ١١٦- ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٣ ، اليعقوبى، البلدان، ص ٣١٦ ، الإدريسى، نزهة المشتاق، ج ١ ، ص ١٤٥ .
- ١١٧- المصادر نفسها .
- ١١٨- ياقوت الحموى ، معجم ، ج ٤ ، ص ١٢٦ ؛ حسن الفقيه ، مخلاف عشم، ص ١٦ ، ١٩ .
- ١١٩- محمد الحجرى، مجموعة بلدان اليمن ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .
- ١٢٠- أحمد الزيلعى «المواقع الإسلامية المندثرة فى وادى حلى»، ص ١١ .
- ١٢١- محمد بن عبدالله بن بطوطة . رحلة ابن بطوطة . تحقيق على المنتصر الكتانى (بيروت : مؤسسة

الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ج ١ ص ٢٧١ .

١٢٢- أحمد الزيلعي «المواقع المندثرة في وادي حلى ...» . ص ١٨ .

١٢٣- المرجع نفسه.

١٢٤- تجوال الباحث في مدن وقرى تهامة خلال عام (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، وشاهد أن كثير من المدن الحضارية الحديثة هناك قد قامت على أنقاض أو قريبة من المراكز الحضارية القديمة. والرسوم والنقوش والآثار تؤكد على أهمية ما ذكرنا ، ولا زالت المنطقة تحتاج إلى دراسات أثرية متأنية لتوضيح العمق التاريخي والحضاري لهذه البلاد.

١٢٥- المرجع نفسه .

١٢٦- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٨-٣٤٠ .

١٢٧- حسين المسري «نجران ...» ، ص ٤١-٩٠ : محمد الأكوخ الحوالي . اليمن الخضراء مهد الحضارة (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، ص ١٤٩ ، ولزيد من المعلومات في بعض المصادر التاريخية المبكرة، انظر : أحمد بن يحيى البلاذري. فتوح البلدان (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م) ص ٧٩ ، محمد بن عبد النعم الحميري. الروض المعطار في أخبار الأقطار (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥م) ص ٥٧٣ يحيى بن الحسين. غاية الأمانى، ج ١، ص ٩٦ .

١٢٨- المصادر والمراجع الآتفة الذكر في حاشيتي (١٢٦، ١٢٧)، بالإضافة إلى ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج ١، ص ٨٩، ٩٧، ١٤٠، صالح العلي «طرق المواصلات في الحجاز» مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)، ج ١١، سنة (٢)، ص ٩٧٥ .

١٢٩- انظر : ابن جريس «تاريخ مخلاف جرش ...»، ص ٦٣ وما بعدها .

١٣٠- زيارة الباحث لمدينة جرش في عام (١٤١٣-١٤١٤هـ / ١٩٩٣-١٩٩٤م) ومشاهدته للعديد من الآثار والنقوش التي تعود إلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيط.

١٣١- المرجع نفسه .

١٣٢- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٥ وما بعدها .

١٣٣- المصدر نفسه .

١٣٤- المصدر نفسه، انظر : ابن جريس «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني» ، ص ٧٦ وما بعدها .

١٣٥- جواد علي ، المفضل ، ج ٧ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ، سعيد الأسمرى. تاريخ رجال الحجر، ص ١٧٣ وما بعدها ، ابن جريس «تاريخ مخلاف جرش ...» ، ص ٦٥ وما بعدها ، عبد الله أبوداهش. أهل السراة ، ص ٥٣ ، حسين المسري «نجران ...» ص ٨٢ وما بعدها .

١٣٦- المراجع نفسها، انظر أيضاً، قدامة، الخراج، ص ١٨٩، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج ١، ص ٣٧.

١٣٧- المصادر والمراجع الأتفة الذكر فى حاشيتى (١٣٦-١٣٥).

١٣٨- المصادر والمراجع نفسها.

١٣٩- المصادر والمراجع نفسها.

١٤٠- المصادر والمراجع نفسها.

١٤١- المصادر والمراجع نفسها.

١٤٢- انظر: حسين المسرى «نجران...»، ص ٨٢ وما بعدها عبدالله أبوداهش، أهل تهامة ١٠٩، وللمؤلف نفسه أهل السراة، ص ٥٢-٥٣ ابن جريس «تاريخ مخلاف جرش...»، ص ٦٣ وما بعدها.

١٤٣- ابن المجاور، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٩.

١٤٤- الهمداني، صفة، ص ٧٦.

١٤٥- المقدسى، أحسن، ص ٨٦.

١٤٦- ابن المجاور، تاريخ، ج ١، ص ٥٣.

١٤٧- المقدسى، أحسن، ص ٨٦.

١٤٨- الأسواق الأسبوعية القديمة تعد بالعشرات بل بالمشات فى بلاد تهامة والسراة، فالباحث فى إحدى جولاته بهذه البلاد خلال الأعوام الثلاثة (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) حصر ما يزيد عن مائتين وخسين سوقاً فى المنطقة الواقعة بين جازان وعسير جنوباً إلى تهامة وسراة قبائل بنى سعد جنوبى الطائف ومكة المكرمة. وشاهد أن بعض تلك الأسواق لازالت تعمل فى أيام معلومة من كل أسبوع. المصدر: مشاهدات الباحث وانطباعته (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

١٤٩- المرجع نفسه.

١٥٠- المرجع نفسه.

١٥١- حسين المسرى «نجران...»، ص ٨٣ وما بعدها، عصام الدين الفقى، اليمن فى ظل الإسلام، ص ٢٢٧.

١٥٢- وعن مهام المحتسب، أو عامل السوق، انظر: يحيى بن عمر. كتاب النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق، ص ٢٦ وما بعدها، ابن الأخوة، كتاب معالم القرية فى أحكام الحسبة، ص ٧٥ وما بعدها.

١٥٣- الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩١.

- ١٥٤- المصدر نفسه ، ابن فهد ، إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٢٦٠-٢٦١ .
- ١٥٥- غيثان ابن جريس . عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، سعيد الأسمرى . تاريخ رجال الحجر ، ص ١٧١ وما بعدها . مشاهدات الباحث للعديد من الأسواق الأسبرعية فى المنطقة خلال الثلاثة عقود الماضية.
- ١٥٦- المراجع نفسها .
- ١٥٧- المراجع نفسها .
- ١٥٨- قدمة . كتاب الخراج ، ص ١٨٩-١٩٠ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧-٩٨ ، ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ٣٧ ، سعيد الأسمرى . تاريخ رجال الحجر ، ص ١٧٥-١٧٦ .
- ١٥٩- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ٣٧ .
- ١٦٠- معاصرة الباحث لأحداث المنطقة وتغيراتها منذ حوالى أربعين عاماً .
- ١٦١- المرجع نفسه .
- ١٦٢- ابن جبير . الرحلة ، ص ١٠٤ .
- ١٦٣- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٧ .
- ١٦٤- الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٣ .
- ١٦٥- قدامة ، كتاب الخراج ، ص ١٨٩-١٩٠ .
- ١٦٦- المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٧-٩٨ .
- ١٦٧- انظر عبد الله بن عبد العزيز البكرى . معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ج ٤ ، ص ١١٢٩ .
- ١٦٨- حسين المسرى «نجران ...» ، ص ٨٣ ، ٨٤ .
- ١٦٩- انظر : تفصيلات أكثر عند أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى . كتاب النبات ، الجزآن الأول والثانى . تحقيق محمد حميد الله . (نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، عام ١٩٧٣م) . والجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس ، شرح وتحقيق المستشرق برنهارد لفين ، بمدينة (نيسبادن بألمانيا ، عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- ١٧٠- القاضى أبويوسف يعقوب بن إبراهيم . كتاب الخراج (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٨٢هـ) ، ص ٧٠-٧١ .
- ١٧١- انظر الدينورى . كتاب النبات (طبعة بنيسبادن) ، ص ٢٦٤-٢٦٧ ، قدامة ، كتاب الخراج ، ص ١٨٩ .

- ١٧٢- الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ .
- ١٧٣- انظر أبو القاسم بن حوقل . كتاب المسالك والممالك (صورة الأرض) . تحقيق أم . دى غوى (اليدن: مطبعة بريل ، ١٨٧٣م) ، ص ٣٦ ، أبو اسحاق إبراهيم الاصطخرى . كتاب مسالك الممالك ، تحقيق أم . دى غوى (اليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٠م) ، ص ٢٤ ، قدامة ، كتاب الخراج ، ص ١٨٩ .
- ١٧٤- الإدريسي، نزهة ، ج ١ ، ص ١٥١ .
- ١٧٥- المصدر نفسه، ج ١ ، ص ١٤٦ .
- ١٧٦- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، قدامة ، الخراج ، ص ١٨٩ ، حسين المسرى «نجران ...» ، ص ٨٤ .
- ١٧٧- جواد على ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ .
- ١٧٨- المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ .
- ١٧٩- المسرى «نجران ...» ، ص ٨٤ ، انظر أيضاً : عمر بن بحر الجاحظ . كتاب التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦م) .
- ١٨٠- البلاذرى . فتوح البلدان ، ص ٢٧٥ ، حسين المسرى «نجران ...» ، ص ٦٥-٩٠ .
- ١٨١- الحوالى ، اليمن الخضراء ، ص ١٥٢ ، أحمد أمين . فجر الإسلام . (القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٥م) ص ٢٦ .
- ١٨٢- البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٥٥ ، المسرى «نجران ...» ، ص ٨٤-٨٥ .
- ١٨٣- انظر : رأفت البندارى . «دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية» مجلة الدارة عدد (٢٠) (١٤٠٨هـ) ، ص ٢٠٨ .
- ١٨٤- انظر : الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٣٥ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ ، ٩٧ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ١ ص ٥٢ .
- ١٨٥- سعيد الأسمرى . تاريخ رجال الحجر ، ص ١٧٥ وما بعدها .
- ١٨٦- المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ١ ، ص ٥٣ .
- ١٨٧- ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
- ١٨٨- المصدر نفسه ، سعيد الأسمرى . تاريخ رجال الحجر ، ص ١٧٣ وما بعدها .
- ١٨٩- المرجع نفسه ، أيضاً انظر Magbul Ahmad "Commercial Relations of India with the Arab " pp. 16 ff.
- ١٩٠- السيد محمد يوسف ، «علاقات العرب التجارية بالهند...» ، ص ٩ وما بعدها : محمد إبراهيم

- زعرور» العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامى فيها ...»، ص ١١٦ وما بعدها .
- ١٩١- ابن حبيب ، كتاب المنق ، ص ٢٨٠-٢٨١ .
- ١٩٢- الأزرقي ، أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
- ١٩٣- ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ١٥٤ .
- ١٩٤- ابن جبير ، الرحلة ، ص ٩٨-٩٩ .
- ١٩٥- المصدر نفسه .
- ١٩٦- ابن بطوطة ، رحلة ، ج ١ ، ص ١٨٣ .
- ١٩٧- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٧ .
- ١٩٨- المصادر الآتفة الذكر التى وردت فى حواش (١٩٢-١٩٧) .
- ١٩٩- ابن جبير الرحلة ، ٩٨-٩٩ .
- ٢٠٠- جواد على ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ، عصام الدين الفقى ، اليمن فى ظل الإسلام ، ص ٢٢٧ وما بعدها .
- ٢٠١- انظر : أحمد الزيلعى . مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ) (الرياض : عمادة شؤن المكتبات ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ١٦٠ وما بعدها ، عبدالله السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى العصر الأموى . (بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ص ١٥٠ .
- ٢٠٢- المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ .
- ٢٠٣- المصدر نفسه .
- ٢٠٤- المصدر نفسه .
- ٢٠٥- المصدر نفسه .
- ٢٠٦- انظر : S.D. Goitien "from Aden to Andia" **Journal of the Economic and Social History of the Orient** . vol . XXII. Parts 1-2 (Leiden, 1980) p. 60 ; " Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times" **Islamic Culture** . vol . XXX VII . No . I (1963) p. 199 .
- ٢٠٧- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٨٠ ولعل تسمية هذا الدينار بـ (الأحمر) ، لأن لونه يميل إلى اللون الأحمر .
- ٢٠٨- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٣٠ ، ٨٠ .
- ٢٠٩- يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .

٢١٠- انظر : مجهول، سيرة الإمام عبدالله بن حمزة. مخطوط بدار المخطوطات اليمنية، ورقة ٦١-٦٢ .

٢١١- وكان الدفع بالأجل يُعرف في بلاد الأندلس باسم القباله (Copala)، بينما عرفت في اليمن باسم التقبيل، حيث ينزل تجار التمور في موسم جنى التمور، فيأخذ كل تاجر على قدر استطاعته ثم يسدد الثمن من عملية البيع في يوم محدد يتم الاتفاق عليه بين التاجر وصاحب الثمرة. انظر : ابن المجاور، تاريخ. ج١، ص ٧٩-٨٠ .

٢١٢- المصدر نفسه، ص ٨٩، ١٤٤ .

٢١٣- المن في بيع ووزن السمن = ٨٠٠ درهم، فيكون وزن الجمنة تقريباً حوالى ١٢,٥ كجم .

٢١٤- ابن المجاور، تاريخ، ج١، ص ٨٩ .

٢١٥- المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٩٩ : ابن المجاور، ج١، ص ١٢ . لقد استخدم الرطل للوزن في صدر الإسلام، فكان يساوى في أغلب حواضر شبه الجزيرة العربية (١٢) أوقية، كل أوقية تساوى (٤٠) درهماً، أى يساوى (١,٥) كجم. انظر: فالترهنتس المكايل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلى (عمان، ١٩٧٠م) ص ٣٠، عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٥٠ . والرطل اليمنى يساوى الرطل البغدادي وكلاهما حدده ابن المجاور بـ (١٣٠) درهماً . أى ما يساوى (٤٠٦,٢٥) جرام على أساس أن الوزن الدقيق للدرهم = (٣,١٢٥) جم، راجع ابن المجاور، تاريخ، ج١، ص ١٢، هنتس، ص ٣٠-٣١ .

٢١٦- بينما يذكر ابن المجاور أن المن في اليمن = (٣٢٠) درهماً ويباع به الحرير ويوزن به العود والزعفران، وطبقاً لذلك فهو يساوى في اليمن (١٠٠٠) جم أى كلاً واحداً في حين أن من الحرير في مناطق أخرى كان يساوى (٢٦٠) درهماً أى حوالى ٨١٢,٥ جرام. انظر ابن المجاور، تاريخ، ج١، ص ١٢، ٨٩، ١٤٤، أبو محمد الطيب بامخرمة. تاريخ ثغر عدن، (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٣٦م) ج٢، ص ١٩٥ .

٢١٧- المصادر نفسها التي وردت في حاشية (٢١٥، ٢١٦) .

٢١٨- المصادر نفسها.

٢١٩- المصادر نفسها.

٢٢٠- المصادر نفسها.

٢٢١- المصادر نفسها.

٢٢٢- الدائق : كلمة فارسية، ويعنى السدس، وهو كوحدة وزن نقد ($\frac{1}{6}$) درهم. انظر : هنتس، المكايل، ص ٢٩، عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٥٠ .

٢٢٣- القيراط : جزء من الدينار، وكان يستخدم في عيار النقود وضربها ووزن الأحجار الكريمة، ويعادل

فى جزيرة العرب حوالى ١٩٥٠م. انظر ابن المجاور ، تاريخ ص ٨٩ ، ١٤٣ ، هنتس ، المكائيل ، ص ٤٤ .

٢٢٤- انظر أبو عبدالله الزبير بن بكار . جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) ، ج ١ ، ص ٤٩ .

٢٢٥- القاسم بن سلام أبو عبيد . كتاب الأموال . تحقيق محمد خليل هراس (القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص ٦٣ . الدينار كوحدة وزن يساوى نظرياً مثقالاً واحداً ، وكوزن سبيكة ذهبية يساوى (٤ ، ٣٣٣) جم ، انظر : هنتس ، المكائيل ، ص ٢٩ .

٢٢٦- انظر : عبدالله السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ .

٢٢٧- انظر : ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٢ : هنتس ، المكائيل ، ص ١٩ .

٢٢٨- ابن المجاور ، تاريخ ، ط ١ ، ص ١٣ .

٢٢٩- لمزيد من التفصيلات عن المد والصاع وغيرهما ، انظر : أبو عبيد ، كتاب الأموال ، ص ٣٢٩ ، ٦٢٣ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٨-٩٩ ، عبد الله السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ ، هنتس ، المكائيل ، ص ٦٤ .

٢٣٠- ابن المجاور ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٣ .

٢٣١- المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ .

٢٣٢- انظر عبدالله السيف ، ص ١٥٠ ، هنتس ، ص ٩٣ .

٢٣٣- هنتس ، ص ٩١-٩٢ .

٢٣٤- المرجع نفسه ، ص ٨٤-٨٧ .

٢٣٥- المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

٢٣٦- جواد على ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٦٢ ، ٦٢٣ وما بعدها .

٢٣٧- الهمدانى ، صفة ، ص ٣٣٨-٣٤٠ .

٢٣٨- أبر الفداء إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ج ١٣ ، ص ٢٦ .

٢٣٩- عبدالله أبوداهش ، أهل السراة ، ص ٥٠ ، نقلاً عن ابن فهد فى كتابه : (أنحاف البرى) .

٢٤٠- عبدالله بن على النعمان الضمى . العقيق اليماني فى وفيات وحوادث المخلاف السليمانى .

مخطوط ، ج ٢ ، ص ١٨١-١٨٢ (يوجد صورة من هذا المخطوط ضمن أوراق مكتبة الباحث) .

٢٤١- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ .

٢٤٢- لآ زالت هذه الأمراض تظهر فى الأجزاء التهامية ، وخاصة الحميات . فقد عاصر الباحث ، فى شهر جمادى الثانية عام (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ظهور مرض الحمى فى منطقة جازان، ثم انتشارها فى أماكن عديدة من المملكة العربية السعودية، وقد توفى على أثرها عشرات الأشخاص ، مع أن العديد من الأجهزة الحكومية تصدت لهذا المرض الذى أطلق عليه (حمى الوادى المتصدع) ، وقد تحتاج إلى وقت طويل للقضاء عليه .

٢٤٣- عبدالله الضمدى، العقيق اليمانى، ج٢، ص٢٤٢ .

٢٤٤- عبدالله أبوداهش، أهل السراة، ص٥٠-٥١ .

٢٤٥- أحمد بن محمد المشنى «الشقىرى» مجلة العرب ، ج١١-١٢ (الجمادىان / ١٤١٦هـ) ، ص٧٩٨، انظر أيضاً : أبوداهش، أهل تهامة، ص١١٩ .

٢٤٦- عبدالله الضمدى، ج٤، ص٨-٤٠ .

٢٤٧- انظر : عبدالله بن حسين العصامى. سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى (مصر : المطبعة السلفية، د.ت) ج٤ ، ص٢-٥٠ .

٢٤٨- عبدالله أبوداهش، أهل تهامة، ص١١٩ .

٢٤٩- معاصرة الباحث للكثير من المستين فى بلاد تهامة والسراة. وهم يذكرون ما عانوه فى حياتهم المعيشية الماضية من جوع وعدم وجود الأمن على أموالهم وأرواحهم، كما أيضاً من يطلع على الوثائق التاريخية فى العصر الحديث ، وخاصة ما ىس التاريخ السياسى لأهل تهامة والسراة وبقية قبائل الجزيرة العربية فإنه سوف يجد ويلبس صحة ما رواه الرواة وتناقلوه عن بعضهم البعض .

٢٥٠- المرجع نفسه.

٢٥١- انظر تقى الدين محمد الفاسى. العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ج٤ ، ص٨٦ .

٢٥٢- انظر ابن حجر العسقلاتى. أنباء القمر بأبناء العمر فى التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ، ج٤ ، ص١٧٧ .

٢٥٣- عز الدين بن فهد. غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام (جدة : دار المدنى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٢٥٤- ابن المجاور ، تاريخ ، ج١، ص٥٢ ومابعدها .

